المهدي (ع) والمسيح (ع)

قراءة في الإنجيل

باسم الهاشمي

السيد المسيح (ع)

أنا لا أطلب مجدي فهناك من يطلبه ويحكم

دار الرسول الأكرم (ص)

دار المحجة البيضاء

المهدي والمسيح

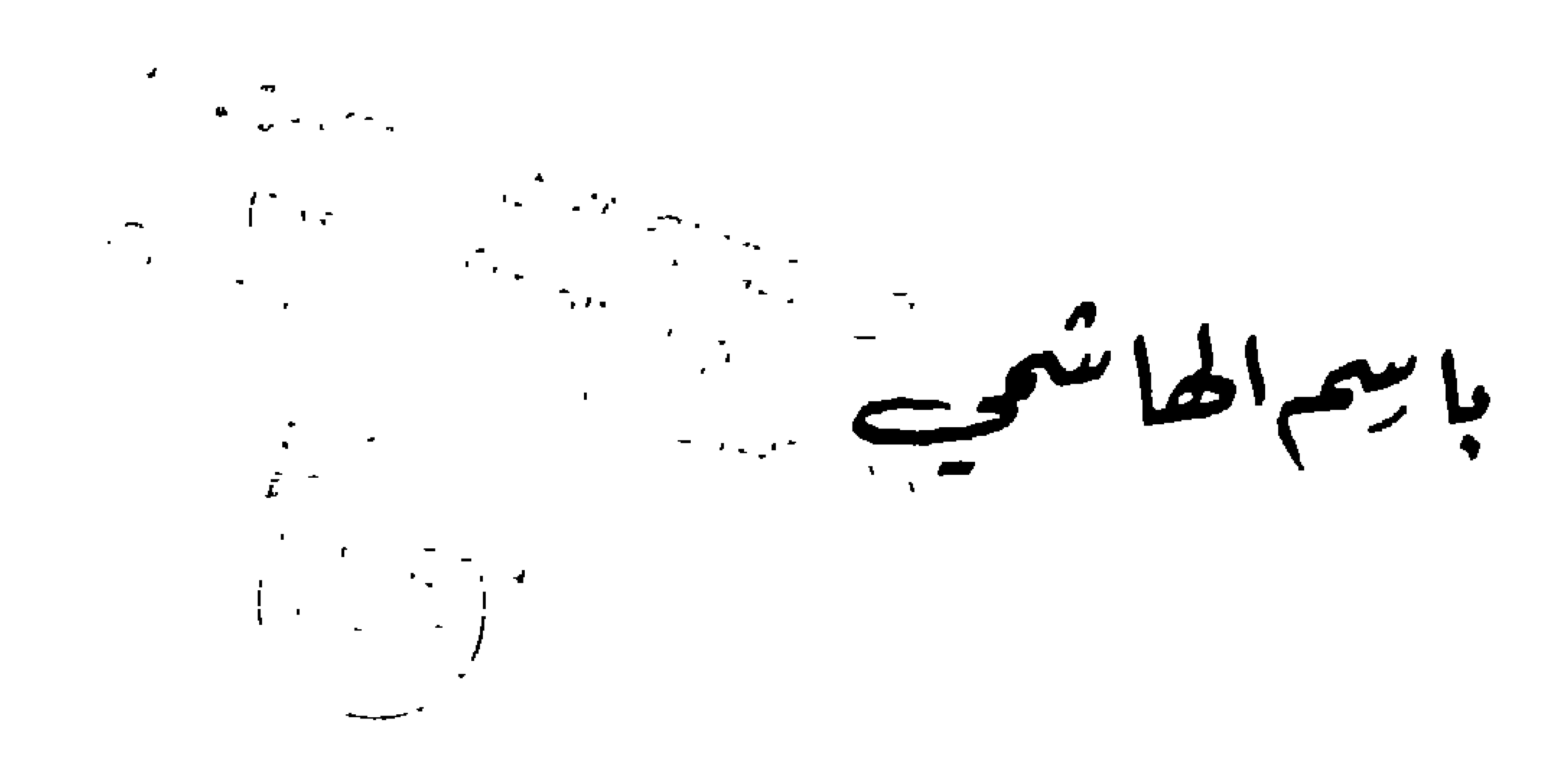
الطبعة الأولى
١٩٩٤م ـ ١٤١٤هـ



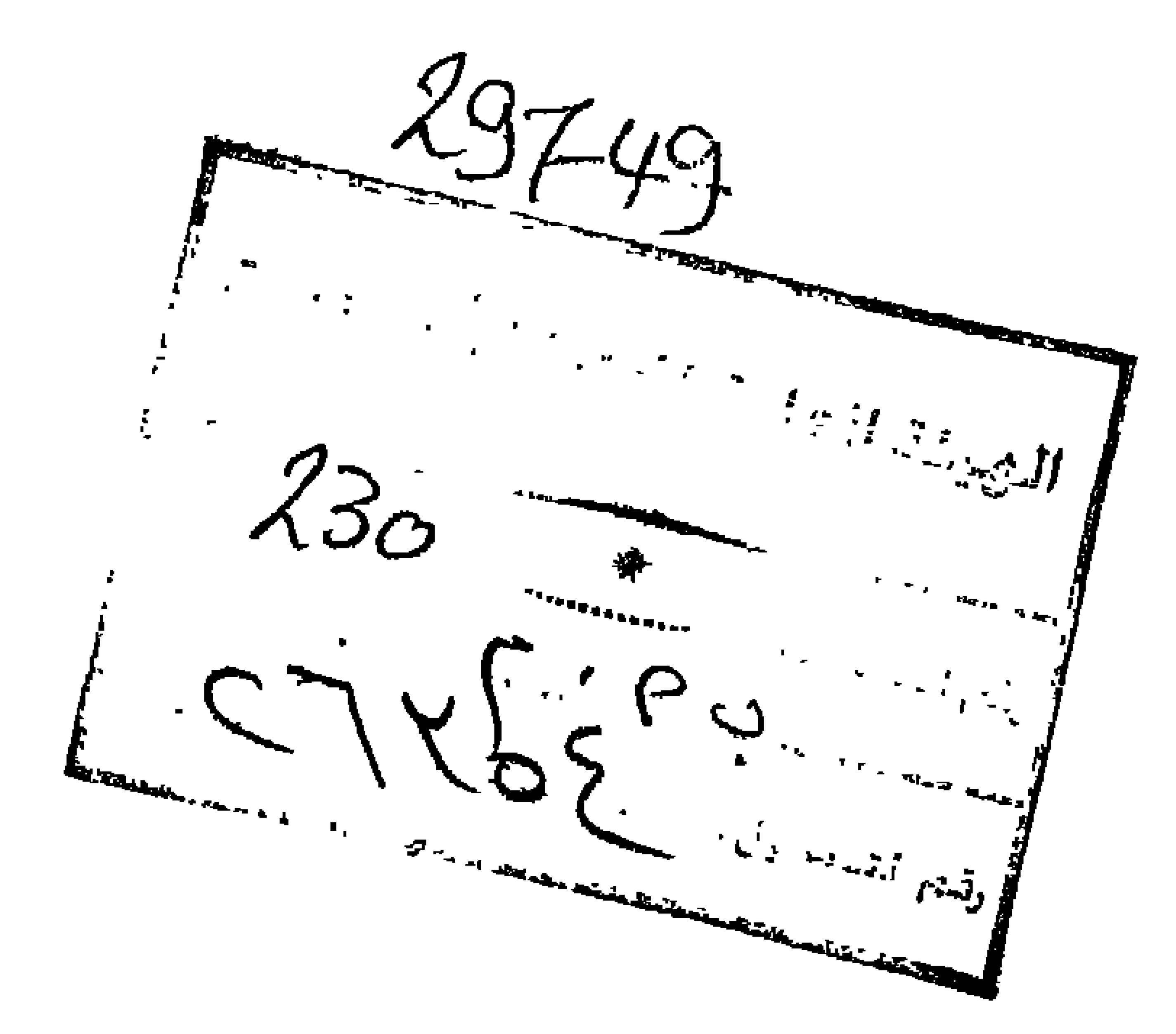
دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع = بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩

المهدي والمسيح

قراءة في الإنجيل



باسم الهاشمي



دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم (ص)

الإهداء

إلـــىٰ بقيّــــة الله المنتظـــر ظهـــوره

وإلـــىٰ روح الله المـــرتقـــب نـــزولـــه

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المقدمة

منذ أمدٍ غير بعيد التقيت بأحد المسيحيين وأنا في طريقي من بيروت إلىٰ جنوبي لبنان، وكان هذا الشخص يجلس إلىٰ جانبي في تلك الرحلة، وبعد تداول الأحاديث بيننا اكتشفت أن هذا الشخص وكثير من الأهالي المسيحيين هم أناس متدينون ومؤمنون بالله عز وجل، ويعيشون التزاماً شرعياً في حياتهم سوىٰ أن ما يتبعونه هو الكتاب المقدس والكنيسة.

أي أننا ـ كمسلمين ملتزمين ـ نتفق مع هذه الشريحة الواسعة من المسيحيين بمبدأ الإيمان بالله عز وجل والالتزام الديني والسعي نحو الخير والصلاح كل على ما يعتقد ويلتزم به. وقد كنت أعتقد سابقاً أن العالم المسيحي هو عالم خارج عن الدين بشكل واسع، وما جاءنا منه من تمرّد على الدين والأخلاق يعكس ما يعيشه من تحلل وسقوط، إلا أني بعد هذا اللقاء أدركت أن ما صدّروا إلىٰ مجتمعاتنا من تحلل وإلحاد إنما هو صناعة خاصة للتصدير لأهداف سياسية وصليبيّة، وليس للاستهلاك المحلي في دولهم، بل تعيش مجتمعاتهم الالتزام الديني المسيحي الذي هو بطبيعته الحالية لا يشكل قيوداً كبيرة على الإنسان.

ومنذ ذلك الحين بدأت بمطالعة متفحّصة للعهد الجديد (الأناجيل الأربعة منه) فوجدت فيه الكثير من نفحات النبوّة الصادقة للسيد المسيح

عليه السلام متناثرة فيه كأقوالٍ ومواعظ سجّلت للسيد المسيح في فترة رسالته. فقمت بجمع ما أمكن تشخيصه من نصوص ومفاهيم مشتركة بين الإسلام والمسيحية تعكس وحدة المصدر الإلهي، أسأل الله أن يوفقني لنشرها قريباً.

وكان من أهم ما لاحظته من مواضيع جرت على لسان السيد المسيح هو ما يُعبّر عنه بالبشارة، وهي التبشير بدولة إلهية تقوم في آخر الزمان يشترك فيها السيد المسيح عليه السلام بنفسه، وهي تشبه إلىٰ حدٍّ بعيد دولة الإمام المهدي عليه السلام التي ننتظرها ـ نحن المسلمين ـ في آخر الزمان أيضاً، بل هي نفسها كما سيتضح في هذا الكتاب.

وهذا الموضوع من المواضيع الأساسية في رسالة السيد المسيح عليه السلام، وذلك لتعلّقه بحدثٍ تاريخي بشري كبير سيكون السيد المسيح أحد عناصره المهمة.

ورجال الدين المسيحيون يؤكدون في مواعظهم وأحاديثهم على ملكوت الله ومجد السيد المسيح القادم وحكمه للعالم دون أن يفهموا علاقته بدولة الإمام المهدي المرتقبة ـ وهذا أمر طبيعي لعدم فهمهم للإسلام أساساً أو تعمّدهم الإهمال بشأنه ـ أما نحن المسلمين فنستطيع فهم القصة كاملة، وهي باختصار قيام دولة الإمام المهدي في آخر مرحلة من عمر البشرية على الأرض، ونزول السيد المسيح عليه السلام من السماء ليشارك فيها، وفي هداية العدد الغفير من المسيحيين الذين سيشكلون قطاعاً واسعاً من مجتمع دولة الإسلام العالمية.

وهذا الكتاب يكشف من خلال قراءة إسلامية للأناجيل الأربعة بشارة السيد المسيح بذلك، وإشارته إلىٰ الإمام المهدي عليه السلام، وإلىٰ دولته، وعلائم قيامها، آملين أن يكون بشرىٰ للمؤمنين، وتعضيداً لعقائدهم الحقّة، ويكون أيضاً سبباً للتقارب بين المؤمنين المسلمين والمسيحيين،

ليستعدوا لاستقبال الدولة المشتركة القادمة والمستقبل الواحد تحت لواء دين واحد.

باسم الهاشمي

بيروت

١٧ ربيع الثاني ١٤١٤

٣/ ١٠/ ١٩٩٣

بشارة المسيح

لقد بعث السيد المسيح عليه السلام بالبشارة، وكلمة «انجيل» مأخوذة من اللفظ اليوناني «اونجليون» ومعناه «خبر طيّب» و«بشرى الخلاص» واعلان هذه البشرى.

والبشارة هي مهمّة السيد المسيح الرئيسة فقد اعتمد شريعة موسىٰ عليه السلام في نبوّته ـ كما سيأتي ـ أما البشارة فهي بأمرٍ مهم ألا وهو قيام «ملكوت الله»، وكانت مواعظه وخطبه تركّز على ذلك وبوضوح كما في هذه النصوص:

يقول القديس مرقس في انجيله:

وبعد اعتقال يوحّنا[1] جاء يسوع الى الجليل يُعلن بشارة الله فيقول: «حان الوقت واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشارة»[2].

وقد قرن التضحية من أجله بالتضحية من أجل البشارة فقال للناس ولتلاميذه: «من أراد أن يتبعني فليزهد في نفسه، ويحمل صليبه[3]، ويتبعني لأن الذي يريد أن يُخلّصَ حياته يفقدها، وأما الذي يفقد حياته في

(١) وهو نبي الله يحيىٰ.

(٢) مرقس: ١/ ١٤ و ١٥ ومتّىٰ: ٤/ ١٢ ـ ١٧ و ٣/ ٢ و ٨/ ١٠ ولوقا: ٤/ ١٤ و ١٥.

(٣) أي يستعد للشهادة.

سبيلي وسبيل البشارة فإنه يخلّصها»[1] .

انها الأساس في دعوته، والتي ينبغي التضحية لها بالمال والبنين والأهل والاحبة كما هي التضحية من اجله:

«الحق اقول لكم: ما من احدٍ ترك بيتاً أو أخوةً أو أخواتٍ أو أمّاً أو أباً أو بنين أو حقولاً من أجلي وأجل البشارة الا نالَ الآن في هذه الدنيا مائة ضعفٍ من البيوت والإخوة والأخوات والامهات والبنين والحقول، مع الاضطهادات، ونال في الآخرة الحياة الأبديّة»[2] .

وهي الهدف من دعوته، يقول القديس مرقس:

وقام قبل الفجر مبكّراً، فخرج وذهب الى مكان قفر، وأخذ يصلّي هناك، فانطلق سمعان واصحابه يبحثون عنه فوجدوه وقالوا له: جميع الناس يَطلبونك!

فقال لهم: «لنذهب الى مكانٍ آخر، الى القرىٰ المجاورة، لأبشّر في مجامعهم»[3] .

وهذه البشارة يجب أن تُعلن لأنها تهمّ جميع الأمم، قال لتلاميذه: «فخذوا حذركم، ستُسلّمون الى المجالس والمجامع وتُجلدون، وتمثلون أمام الحكّام والملوك من أجلي، شهادة لديهم[4] ، ويجب أن تُعلن البشارة قبل ذلك[5] الى جميع الأمم»[6] .

لأن «ملكوت الله» ـ وهو المراد من البشارة ـ حدث يقوم في الساحة

---

(١) مرقس: ٨/ ٣٤ و ٣٥.
(٢) مرقس: ١٠/ ٢٩ ـ ٣٠، ومتّىٰ: ١٩/ ٢٧ ـ ٣٠، ولوقا: ١٨/ ٢٨ ـ ٣٠.
(٣) مرقس: ١/ ٣٥ ـ ٣٩، ولوقا: ٤/ ٤٢ ـ ٤٤، ومتّىٰ: ١٤/ ٢٣ و ٢٦/ ٣٦، ولوقا: ٣/ ١.
(٤) أي حجّة عليهم، كما في مرقس ٦/ ١١.
(٥) أي قبل حدوث ملكوت الله الذي يُبشّر به كما في الفقرات التي تسبق هذه الفقرة.
(٦) مرقس: ١٣/ ٩ ـ ١٠، ومتّىٰ: ١٠/ ١٧ ـ ٢٢.

البشرية كلها كما سيأتي.

وقال لهم ايضاً:

«اذهبوا في العالم كلّه، واعلنوا البشارة الى الخلق اجمعين»[1].

انه عليه السلام كان يفعل ذلك بنفسه كما يقول عنه القديس متّىٰ:

وكان يسير في الجليل كلّه يُعلّم في مجامعهم ويُعلن بشارة الملكوت[2].

وقد أخبر تلاميذه بأن إعلان البشارة سيتم في العالم كله ثم يحدث ما يُبشّر به وهو ملكوت الله عند النهاية فقال:

«وستُعلن بشارة الملكوت هذه في المعمور كلّه، شهادة لدىٰ الوثنيّين أجمعين[3]، وحينئذ تأتي النهاية»[4].

ما كان يهمّه إلا إعلان البشارة، إنها أمر عظيم يجب على المؤمن طرحه للناس دون أن يشغله شيء عنه حتى لو كان دفن الأب الميت، فلما دعا السيد المسيح أحد الرجال ليكون من أنصاره فقال له: «اتبعني».

قال: ائذن لي أن أمضي أولاً فأدفن أبي.

فقال له عليه السلام: «دع الموتىٰ يدفنون موتاهم، وأما أنت فامضِ وبشّر بملكوت الله»[5].

وهكذا فعل مع بقيّة أصحابه كما يقول القديس لوقا: ودعا الاثني عشر... ثم أرسلهم ليعلنوا «ملكوت الله»[6].

---

(١) مرقس: ١٦/١٥.
(٢) متّىٰ: ٤/٢٣.
(٣) أي حجّةً عليهم.
(٤) متّىٰ: ٢٤/١٤.
(٥) لوقا: ٩/٥٩ ـ ٦٠.
(٦) لوقا: ٩/١ ـ ٢.

إن البشارة إذاً أمر عظيم بعث السيد المسيح من أجل إعلانه، وكان لا يترك فرصة حتى يبشّر به، بل دعا أتباعه إلى ذلك وأن يضحّوا بالغالي والنفيس من أجله، وهو «ملكوت الله»، فماذا يعني «ملكوت الله» أو «ملكوت السماوات» وما أهميته؟.

ملكوت الله

ورد هذا الاصطلاح كثيراً في الكتاب المقدس، وبالتحديد (١٤) مرة في انجيل مرقس، و (٣٩) مرة في انجيل لوقا، و (٣٢) مرّة في انجيل متّىٰ.

وورد في بعضها بصيغة «ملكوت السماوات» وذلك جرياً على عادة اليهود حينها في عدم ذكر اسم الله عز وجل احتراماً ورهبة.

و «ملكوت الله» هو البشارة التي بعث السيد المسيح عليه السلام من أجل إبلاغها إلى قومه وإلى كافة العالم، فقد قال للذين حاولوا أن يُمسكوا به لئلاّ يذهب عنهم فقال لهم: «يجب عليّ أن أبشّر سائر المدن أيضاً بملكوت الله، فإني لهذا أُرسلت»[1].

وقد مرّت معنا النصوص في ذلك، فما هذه الأهمية الكبرىٰ لموضوع «ملكوت الله»؟ وماذا يعني بالضبط؟ هل هو حدث في السماوات، أم على الأرض؟ وهل هو معانٍ مجرّدة لا ترتبط بالواقع بشيء، أم هو حال ووضع ذا صفات ومميزات خاصة لا تبتعد عن طبيعة الحياة الإنسانية؟

إن أدق إجابة علىٰ هذه الأسئلة هي ما يستخرج من نفس نصوص

---

(١) لوقا: ٤/٤٢ و ٤٣.

الانجيل التي تتعرض لمسألة «ملكوت الله» وبذلك يكون تفسيراً للانجيل بالانجيل، وليس بالاعتماد على الآراء النظرية المفترضة.

وبعد ملاحظة مجمل النصوص الانجيليّة يظهر لنا ـ وبكل وضوح ـ أن «الملكوت» هو الحكم، و «ملكوت الله» هو «حكم الله» و «دولة الله» في الأرض، وسنورد هنا جانباً من هذه النصوص:

قال السيد المسيح عليه السلام لتلاميذه عندما طلب منه أحدهم أن يعلّمه الصلاة ـ أي الدعاء ـ «متىٰ صلّيتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدّس اسمُك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علىٰ الأرض»[١].

وفي عبارة القديس متّىٰ: «ليأتِ ملكوتك ليكن ما تشاء في الأرض كما في السماء»[٢].

أي أن يُطبّق حكم الله عز وجل في الأرض من قبل البشرية كما يُطبّق في السماء من قبل الملائكة، وهو العمل بشريعة الله وأوامره ونواهيه التي بعثها إلىٰ الخلق بواسطة الأنبياء، فهي إرادته، وهي مشيئته غير الاضطرارية، التي أعطىٰ الإنسان الحريّة في تطبيقها، ودعاه إلىٰ ذلك، ووعد المؤمنين الأجر والثواب عليها، ثم وعدهم بأن يمكّن لهم دينهم في الأرض فيقيموا حكومة الله على أرجاء المعمورة، وهي البشارة التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام.

إن هذا الأمر فهمه اليهود من أنبيائهم، وظنّوا أن الملكوت قريب وأحسّوا بالخطر على وجودهم من الملك الجديد ـ أي السيد المسيح عليه السلام ـ وكان إحساسهم هذا سبباً لمحاربتهم له ومحاولتهم قتله.

كما أن الناس فهموا أيضاً من السيد المسيح معنىٰ «ملكوت الله» وأنه

---

(١) لوقا: ١١/٢.
(٢) متّىٰ: ٦/١٠.

حكم ودولة، فاشتاقوا إلىٰ الاشتراك فيه وتحصيل عزّه وكرامته.

يقول القديس متّىٰ في انجيله:

فدنت إليه أم ابني زبدىٰ ومعها ابناها، وسجدت له تسأله حاجة فقال لها: ماذا تريدين؟

قالت: مر أن يجلس ابناي أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك في ملكوتك.

فأجاب يسوع: إنكما لا تعلمان ما تسألان، أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سأشربها؟

قالا له: نستطيع.

فقال لهما: أمّا كأسي فسوف تشربانها، وأما الجلوس عن يميني وعن شمالي فليس لي أن أمنحه، بل هو للذين أعدّه لهم أبي[1] (أي ربي).

إن كأسه له يعطيه من يريد أما الجلوس عن يمينه وشماله في «ملكوت الله» فإنه يعود إلىٰ الله لأن السيد المسيح نبي مرسل وأمره من أمر الله لا يملك منه شيء.

ومن هنا يتضح أن «ملكوت الله» هو حكم إلهي على الأرض، فيه قيادة ومناصب قضىٰ الله عز وجل قيامه على الأرض لصالح الإنسان والإنسانية.

إن هدف الأنبياء عليهم السلام ومنهم السيد المسيح هو إيصال كلمة الله وأحكامه للبشر لا لأجل إصلاح الإنسان بما هو فرد فقط، وإنما لإصلاح البشرية جمعاء، فلا يتم صلاح الإنسان وسعادته إلا إذا كان في مجتمع صالح أيضاً ودولة صالحة، ولا شك أن الذي يعرف صلاح الإنسان فرداً ومجتمعاً هو الله عز وجل خالق الإنسان والمالك والمدبّر للكون.

---

(١) متّىٰ: ٢٣/١٣ و ١٤.

فكما أن السماوات صالح أمرها بتنفيذ مشيئة الله فيها يُنتظر أن يصلح أمر الأرض بمن عليها أيضاً بتنفيذ مشيئة الله فيها، فتكون مشيئته في الأرض كما هي في السماء وهذا هو «ملكوت الله».

إنه هدف مهم ترتبط به سعادة الإنسان والبشرية، وهو الأمل الذي سعىٰ الأنبياء للوصول إليه فكانت نبوّة عيسىٰ عليه السلام إحدىٰ النبوءات القريبة من تحققه، وسيكون للسيد المسيح عليه السلام دور مهم فيه ـ كما سيأتي في الفصل الآتي ـ ويحضره قومه الذين بعث إليهم.

وقضية «ملكوت الله» في الأرض ذكرها الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم منذ القدم، وقد ورد في انجيل لوقا عن بداية التبشير الواسع ـ وليس الإخبار فقط ـ في نبوّة نبي الله يحيىٰ: دام عهد الشريعة والأنبياء حتىٰ يوحنّا، ومن ذلك الحين يُبشّر بملكوت الله.

فقد بشر بالملكوت نبي الله يحيىٰ الذي ظهر السيد المسيح في زمانه وذكر اقتراب حلوله كما ورد في الانجيل:

في تلك الأيام ظهر يوحنّا المعمدان ينادي في بريّة اليهودية فيقول: «توبوا، قد اقترب ملكوت السمٰوات»[1].

ولمّا اعتقل النبي يحيىٰ أصبح المكلّف بإعلان ذلك السيد المسيح عليه السلام، يقول القديس مرقس:

وبعد اعتقال يوحنا جاء يسوع إلىٰ الجليل يعلن بشارة الله فيقول: «حان الوقت واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشارة»[2].

وفي انجيل متّىٰ:

وبدأ يسوع من ذلك الحين ينادي فيقول: «توبوا قد اقترب ملكوت

---

(١) متّىٰ: ٣/١ و ٢.

(٢) مرقس: ١/ ١٤ و ١٥.

السماوات»[1].

وبدأ يطلب من تلاميذه التبشير بقرب قيامه أيضاً، يقول القديس متىٰ:

أرسلهم يسوع وأوصاهم قال: «. . . اذهبوا إلىٰ الخراف الضالّة من بيت إسرائيل وأعلنوا في الطريق أن: قد اقترب ملكوت السماوات»[2].

«وأية مدينة دخلتم ولم يقبلوكم فاخرجوا إلىٰ ساحاتها وقولوا: حتىٰ الغبار العالق بأقدامنا من مدينتكم ننفضه لكم ولكن اعلموا بأن ملكوت الله قد اقترب»[3].

إنه حدث ينتظره الأنبياء والمؤمنون عبر التاريخ لأن فيه تنفيذ إرادة الله ومشيئته، وفيه يتحقق الهدف من إيجاد الخليقة.

ولم يُحدد له وقت معيّن بل يأتي بغتة، يقول القديس لوقا في انجيله:

وسأله الفريسيّون[4]: متىٰ يأتي ملكوت الله؟

فأجابهم: «لا يأتي ملكوت الله على وجه يُراقب»[5].

---

(١) متىٰ: ٤/١٧.

(٢) متىٰ: ٩/٥ ـ ٧.

(٣) لوقا: ١٠/١٠ و ١١.

(٤) جاء في الكتاب المقدس الذي قدمته الرهبانية المسيحية وطبع سنة (١٩٨٩): يدلّ أصل الكلمة بالآرامية على الاعتزال والابتعاد عن الخاطئين. كان الفريسيّون يتبعون مذهباً دينيّاً يدعو إلىٰ التشدّد والتصلّب في الحفاظ على شريعة موسىٰ وسنّة الأقدمين في أمور الطهارة ومراعاة السبت وأداء العُشر وهلمّ جرّا. كانوا يؤمنون بالملائكة والأرواح والقيامة فيخالفون الصدوقيين الذين كانوا ينكرون ذلك كلّه. وكان كثير من الكتبة، أي علماء الكتاب المقدس ينتمون إليهم. أخذ عليهم السيد المسيح رياءهم وكبرياءهم وتعلّقهم بالألفاظ دون المعاني وقساوتهم على الشعب، ووقع بينهم وبينه جدال كثير في أمور السبت (متىٰ: ١٢/١ ـ ١٤) وأنذرهم بالهلاك (متىٰ: ٢٣) على أن يسوع صادق الصالحين منهم الذين حفظوا الشريعة حفظاً صادقاً من غير رياء وكبرياء. (الصفحة: ٨٤١).

(٥) لوقا: ١٧/٢٠.

ويُفهم من ذلك أنه حدث له وقت يتحقق فيه بشمول ووضوح، في حين تبدأ مقدماته منذ وقت بعيد، ونستطيع أن نقول أنها بدأت مع أول نبي جاء بأحكام الله، ثم استمرت حتىٰ قام ركن مهم من أركان ملكوت الله وحكمه في الأرض هو ظهور السيد المسيح الذي سيشترك في هذا الملكوت حين حصوله في الوقت الأخير غير المعيّن.

وكانت مسألة وقت حلوله إحدىٰ الأسرار المتعلّقة به، فقد بدأت عملية الانتظار منذ إعلان السيد المسيح عليه السلام بداية عهد الملكوت بظهوره كإحدىٰ مقومات هذا العهد.

ونلاحظ حالة الانتظار والترقّب لقيام ملكوت الله في زمانه فقد ورد عن محاكمته من قبل اليهود:

وجاء رجل اسمه يوسف، وهو عضو في المجلس، وامرؤ صالح بار، لم يوافقهم على قصدهم ولا عملهم، وكان من الرامَة وهي مدينة لليهود، وكان ينتظر ملكوت الله. . .[1]

فالأنصار والمؤمنون في عهد السيد المسيح بدأوا ينتظرون ذلك اليوم الذي يكون فيه ملكوت الله عز وجل في الأرض، لما آمنوا بقول السيد المسيح وبشارته وإخباره عمّا سيكون فيه من خير وصلاح.

قال القديس لوقا عن أتباعه عليه السلام:

وكانوا يظنون أن ملكوت الله يوشك أن يظهر في ذلك الحين[2].

إن موضوع الملكوت لم تكن الظروف حينها مهيّئة للحديث فيه بكل تفصيل لأن الناس لم يكونوا على استعداد لتفهّمه بكل جوانبه بل طرح إليهم بشكل أمثال ورموز وخطوط عامة، فيما خصّ السيد المسيح بعض

---

(١) لوقا: ٢٣/ ٥٠ و ٥١، ومتّىٰ: ٢٧/ ٥٧ ـ ٦١، ومرقس: ١٥/ ٤٢ ـ ٤٧، ويوحنا: ١٩/ ٣٨ ـ ٤٢.

(٢) لوقا: ١٩/ ١١.

أنصاره وتلاميذه الاثني عشر بأسرار منه، يقول القديس مرقس:

فلما اعتزل الجمع سأله الذين حوله مع الاثني عشر عن الأمثال (التي كان يحدّث الناس عنها) فقال لهم: «أنتم أُعطيتم سرّ ملكوت الله وأما سائر الناس فكل شيء يُلقىٰ إليهم بالأمثال»[1].

وبرواية القديس متىٰ:

فدنا تلاميذه وقالوا له: لماذا تكلّمهم بالأمثال؟

فأجابهم: «لأنكم أُعطيتم أنتم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات وأما أولئك فلم يُعطوا ذلك»[2].

ولهذا حصل غموض عام في موضوع الملكوت لدىٰ الكثير من الناس ولا يزال، سوىٰ الإشارات والرموز التي تناقلها أنصار السيد المسيح عبر التاريخ، ودوّنت ضمن الأناجيل لأصحابه وحواريه.

ونهدف في هذا الكتاب إلىٰ كشف صورة الملكوت أكثر فأكثر، وحل رموزه وأسراره بقراءة إسلامية للموضوع، فلا شك أن نبوّة النبي محمد صلى الله عليه وآله كانت على نفس الخط الذي سار عليه الأنبياء جميعاً ومنهم السيد المسيح عليه السلام، وعند ضمّ المعلومات التي طرحها النبي محمد صلى الله عليه وآله ورسالته إلىٰ ما ورد من أقوال وإشارات عن السيد المسيح يتضح الأمر أكثر للباحثين.

فالأديان السماوية بما لها من مصدر مشترك ـ وهو الله جل وعلا ـ لا تختلف في جوهرها وحقيقتها بل وتفاصيلها في ما بينها[3]، فالمصدر واحد والموضوع واحد والهدف واحد، أما الاختلافات الظاهرية فنشأت من

(١) مرقس: ٤/١٠ و ١١.
(٢) متىٰ: ١٢/١٠ و ١١.
(٣) سنذكر في بحث لاحق ـ إن شاء الله ـ نصوصاً ومفاهيم مشتركة بين الإسلام والمسيحية.

أمرين:

الأول: اختلاف نزول الأديان المرحلي، فقد جاء كل نبي إلىٰ قومه في فترة تحمل مواصفات معينة من حيث الإدراك البشري والتجارب والتراث التأريخي والحاجات المقتضية للتشريع.

ومن هنا كان التدرج في طرح المفاهيم والحقائق الإلهية في مجال العقائد حتىٰ اكتمل الأمر بعقيدة التوحيد في الدين الإسلامي الخاتم للأديان السماوية.

وكذلك التدرج في طرح الأحكام والعبادات وما إلىٰ ذلك من جزئيات الدين الإلهي المُعبّر عنه في السابق بالشريعة.

الثاني: تأثير عوامل القدم، وعمليات الاستنساخ، والتلاعب أحياناً، في نصوص الأديان القديمة، ويبرز ذلك أكثر فأكثر كلما كان الدين الإلهي أقدم.

وأوضح نصوص ومفاهيم دينية للأديان التاريخية هي ما حواه الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، إلا أنه لم يسلم من هذه العوامل أيضاً، ولذا ظهرت فيه آثار التناقض أحياناً والغموض أخرىٰ، إلا أن كثيراً من مفاهيمه ونصوصه لا زال صحيح الأصل.

أما الدين الإسلامي بكل تفاصيله العقائدية وأحكامه فقد جاء واضحاً، وحُفظ من التحريف على مستوىٰ القرآن، وكتبت له السلامة بشكل عام من أيدي المتلاعبين على مستوىٰ الحديث الشريف.

نعم حصل بعض التلاعب المكشوف تبنّته بعض المذاهب الإسلامية مما أدىٰ إلىٰ حصول الاختلافات بينها، إلا أن أفضل ما ورد من نصوص هو ما كان عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لأنهم ذريّته وقد أخذوا الأمانة وحفظوها عبر أجيال وأجيال، وما زال الثاني عشر من الأمناء يحفظ هذه الأمانة، وهو الإمام المهدي الذي جرىٰ له ما يشبه الذي جرىٰ للسيد المسيح من اختفاء وتوقع ظهور في المستقبل، وسيأتي تفصيل ذلك

إن شاء الله.

إن الرمزية في طرح بشارة السيد المسيح - وهي ملكوت الله - والغموض الحاصل لدىٰ جمهور أتباع السيد المسيح لا يعني أنه لم يؤد الرسالة التي بعث لأجلها، أو أنه قصّر في بيانها - حاشاه - بل إن الأمر لا يعدو أن يكون تكتيكاً مرحلياً، طرح فيه ما يمكن أن يُفهم بشكل عام وما يمكن أن يُحمل رسالة إلىٰ الأجيال لحين حلول وقت الملكوت والحكم الإلهي في آخر الزمان.

إن درك موضوع سيتحقق بعد مئات السنين بل الآلاف لا يمكن لعامة الناس، ولولا ارتباط السيد المسيح بالله عز وجل ونبوّته لما أدرك ذلك هو أيضاً.

إن ملكوت الله وحكم الله في الأرض والدولة الإلهية المرتقبة أمر جليل له أسرار ومقدمات ونتائج وآفاق وظروف لا يرقىٰ إلىٰ هضمها وتحمّل معانيها والتصديق بأخبارها إلا القليل القليل من البشر، وهم الأنبياء عليهم السلام وبعض المقرّبين منهم، وقد قال السيد المسيح لتلاميذه بعد أن ذكر لهم الكثير من موضوع الملكوت وغيبته عنهم ثم عودته:

«لا يزال عندي أشياء كثيرة أقولها لكم ولكنكم لا تطيقون الآن حملها»[١].

ووعدهم أن يخبرهم بالتفصيل (عندما يعود إليهم في آخر المطاف عند قيام حكم الله في الأرض):

«قلت لكم هذه الأشياء بالأمثال، تأتي ساعة لا أكلّمكم فيها بالأمثال بل أخبركم عن الأب (أي الرب) بكلام صريح»[٢].

وعدم التصريح هذا أدىٰ إلىٰ غموض في بعض الأمور التي طرحها

(١) يوحنّا: ١٦/١٢.
(٢) يوحنّا: ١٦/٢٥.

السيد المسيح مما دعا البعض من تلاميذه أو رجال الكنيسة إلىٰ وضع الحلول المناسبة في فهمها، منها ما قالوه عن ملكوت الله وأنه معنوي وليس حكم، مع اعترافهم بأن الفهم الذي ساد بين تلاميذ السيد المسيح ومعاصريه كان الحكم الدنيوي.

تقول الرهبانية اليسوعية[1] : رسالة يسوع هي دعوة الناس إلىٰ ملكوت السماوات.

ثم تقول: ويدخل الناس في ملكوت السمٰوات إذا تابوا عن خطاياهم وحفظوا وصايا الله.

وهذا من شروط الاشتراك والدخول في حكم الله في الأرض كما سيأتي.

ثم تضيف معتبرةً ذلك أمراً معنوياً فتقول: ولذلك أعلن يوحنا في وعظه: «توبوا قد اقترب ملكوت السموات» فليس ملكوت السموات ملكاً دنيوياً كما توهّمه اليهود والرسل أنفسهم فتساءلوا من الأكبر فيه[2] ، وأراد يعقوب ويوحنا أن يجلسا فيه عن يمين يسوع وشماله[3] ، وسأل التلاميذ يسوع يوم صعوده إلىٰ السماء: يا رب أفي هذا الزمن تعيد الملك إلىٰ إسرائيل؟

---

(١) الكتاب المقدس ـ طبعة الرهبانية اليسوعية سنة (١٩٨٩) ـ الصفحة ٨٤٢.

(٢) يقول القديس متّىٰ في انجيله: وفي تلك الساعة دنا التلاميذ إلىٰ يسوع وسألوه: من تُراه الأكبر في ملكوت السموات؟ فدعا طفلاً فأقامه بينهم وقال: «الحق أقول لكم: إن لم ترجعوا فتصيروا مثل الأطفال لا تدخلوا ملكوت السموات، فمن وضع نفسه وصار مثل هذا الطفل فذاك هو الأكبر في ملكوت السموات» (متّىٰ: ١٨/١ ـ ٤).

(٣) متّىٰ: ٢٠/٢٠ ـ ٢٣ فقد طلبت أمهما من السيد المسيح قائلة: مُر أن يجلس ابناي هذان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك في ملكوتك. فكان في جوابه لها أن قال: «وأما الجلوس عن يميني وعن شمالي فليس لي أن أمنحه بل هو للذين أعدّه لهم أبي (أي ربي)».

فقال لهم: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات. .»[1].

ورغم كل ذلك تطرح الرهبانية اليسوعية معنىٰ مثالياً غير واقعي عن الملكوت وبدون دليل وأنه مجرّد التوبة فتقول: ملكوت السموات مفتوح لجميع الناس الذين يؤمنون ويتوبون حتىٰ الخاطئات والعشارين (متىٰ: ٢١/٣١ و ٣٢) والوثنيين (متىٰ: ٨/١١) يدخله جميع الذين يعملون الصالحات ويُحرم منه جميع الذين يعملون السيئات (متىٰ: ٢٥/ ٣١ ـ ٤٦).

إنّ الإيمان والتوبة من شروط البقاء ضمن مجتمع ملكوت الله في الأرض ـ كما سيأتي ـ ولا يفهم منه الملكوت المعنوي!

---

(١) رسل: ١/ ٦ و ٧.

ملكوت الله على لسان السيد المسيح

لقد نقلت الأناجيل تصريحات كثيرة للسيد المسيح عليه السلام حول ملكوت الله، والذي قلنا أنه حكم الله في الأرض المطلوب قيامه والمبشّر بحصوله في آخر المطاف.

وتناول حديثه عن الملكوت جوانب كثيرة منه، واتسم بالرمزيّة والإشارة والتلميح والتصريح المختصر مع التأكيد على بعض النقاط وبعض المصطلحات كابن الإنسان، ليكون ذلك أقصىٰ ما يمكن أن يحمّل أصحابه من معلومات وتوضيحات حول هذا المشروع الإلهي الكبير، ألا وهو إقامة حكم الله في الأرض.

ونستطيع بملاحظة مجمل ما ورد عنه عليه السلام تصنيف حديثه إلىٰ المواضيع التالية:

١ ـ حتمية الملكوت.
٢ ـ وقت حدوثه.
٣ ـ رقعته الجغرافيّة والاجتماعية.
٤ ـ شروط الدخول فيه.

٥ ـ مواصفات أهله.
٦ ـ أهميّته وبركاته.
٧ ـ مقدماته التاريخيّة.

حتمية الملكوت

إن الهدف من إيجاد الخليقة ـ علىٰ ما ورد في النصوص الدينية ـ هو عبادة الله عز وجل الخالق للوجود كما جاء في القرآن الكريم: **﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾**[1].

وهذه العبادة لا تعني إتعاب الإنسان في تكاليف معينة طلب منه الالتزام بها، بل هي تنفيذ أوامر إلهية تهدف إلىٰ إصلاح الإنسان كفرد وإصلاحه كمجتمع، والأمران متعاضدان، ومجموعة الأوامر والنواهي الإلهية التي تتكفّل ذلك تسمّىٰ الشريعة والأحكام.

فالله عز وجل لم يخلق الإنسان والإنسانية عبثاً، ولم يبعث الأنبياء عليهم السلام اعتباطاً، وإنما المراد إبلاغ الإنسان بالدين الإلهي وقيادته نحو تطبيق هذا الدين على الصعيد الفردي والاجتماعي لصلاحه وسعادته في الدنيا قبل الآخرة، واستجابته للخالق جل وعلا في ذلك تسمىٰ «عبادة» و «طاعة».

ولكن هل استجاب الإنسان لخالقه في اتباع دينه القويم على مرّ التاريخ؟

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

الجواب واضح تماماً، فقد كان الإنسان متمرداً منذ البداية على الصعيد الفردي والاجتماعي إلا القليل من الصالحين، وهؤلاء تعرضوا لاضطهاد الكثرة الضالة من البشرية وعلى مدى التاريخ الطويل، ولم ينج من ذلك حتى الأنبياء عليهم السلام!

وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزءون﴾**[1] ، **﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم﴾**[2] .

إذاً هل يمكن أن لا يتحقق الهدف الإلهي من خلق الإنسان، وهو العبادة على مستوىٰ الفرد والمجتمع بدولته ومؤسساته وحكمه واقتصاده وكافة شؤونه؟!

﴿إن الله بالغ أمره﴾[3] **﴿والله متم نوره ولو كره المشركون﴾**[4] .

إن إقامة ملكوت الله وحكمه في الأرض، وخضوع البشرية جمعاء لأمره ونهيه بما يؤدي إلىٰ صلاحها وتحقق الهدف من إيجادها أمر لا بد من حدوثه ولو كره الكافرون.

والله عز وجل لا يريد تحقيق ذلك بالقوة، واستعمال الطرق الإعجازية لينتصر على البشر، لأنه قد أعطىٰ الإنسان العقل، وأعطاه الاختيار، وبعث له الأنبياء ليرشدوه إلىٰ طريق الصواب فيعبد الله مختاراً طائعاً راغباً بذلك.

وحتىٰ يصل الإنسان إلىٰ هذه النتيجة تركه الله عز وجل يجرّب حظّه في الطرق الشيطانية والبشرية الضالّة عن جادة الحق والصلاح، فيذوق وبال

---

(١) سورة يس: ٣٠.
(٢) سورة النساء: ٦٦.
(٣) سورة الطلاق: ٣.
(٤) سورة الصف: ٨.

اختياره، ثم يعود نادماً إلىٰ خالقه الذي يحبّه ويريد صلاحه.

لقد بعث الله عز وجل (١٢٤) ألف نبي ـ كما ورد في المصادر الإسلامية ـ لهداية الإنسان، وكان كل منهم يتمم عمل الذي سبقه ويعضده ويمهّد للذي يليه، وكلهم يسعىٰ لهدف واحد في تطبيق الشريعة كاملة، ومنهم السيد المسيح عليه السلام، يقول عليه السلام في معرض حديثه عن ملكوت الله:

«ولا تظنّوا أنّي جئت لأُبطل الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأُبطل بل لأُكمل.

الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتىٰ يتم كل شيء أو تزول السماء والأرض»[١].

إنها حتمية لا بد من حدوثها، وإلاّ زالت السماء والأرض، لأن الهدف الإلهي في وجودهما ووجود الإنسان لم يتحقق، وهو العبادة الكاملة وتطبيق الشريعة بكل تفاصيلها الفردية والاجتماعية، فلا يسقط الدين الإلهي ولا يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتىٰ يتم تطبيق كل شيء في ملكوت الله، وهذا إنما يراد منه التأكيد القاطع على حصول الهدف الإلهي في تطبيق الشريعة وإصلاح الإنسان والإنسانية.

وفي مصادرنا الإسلامية ورد التأكيد على قيام دولة إلهية في آخر المطاف لا بد من حدوثها كما روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتىٰ يقوم القائم الحق»[٢].

وقائم الحق هو الإمام المهدي عليه السلام الذي سيقيم حكومة إلهية في الأرض كلها، وقد روي في حتمية قيامها عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

---

(١) متّىٰ: ٥/١٧ و ١٨.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٦٥/٢ عن عيون أخبار الرضا.

«المهدي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق نبيّاً لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتىٰ يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسىٰ بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنور ربها»[1].

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٧١ عن كمال الدين.

وقت حدوثه

إن حكم الله في الأرض إذا قام بشكله الصحيح قيادةً وأداءً لا يمكن أن يفشل أو يسقط[1] لأنه صنع الله الذي أتقن كل شيء، ولذا كان وقته المعين هو آخر الزمان، بعد أن تقضي البشرية المهلة اللازمة لرشدها، وإدراكها ضرورة هذا الحكم، وأن لا ملجأ لها ولا خلاص إلا بالعودة إلىٰ الله ودينه.

يقول السيد المسيح: «والذي يثبت إلىٰ النهاية فذاك الذي يخلص، وستعلن بشارة الملكوت هذه في المعمور كلّه شهادة لدىٰ الوثنيين أجمعين[2] وحينئذ تأتي النهاية»[3].

وهي إقامة الملكوت الإلهي على الأرض نهاية للمسيرة البشرية وللعذاب الإنساني، تقول الرهبانية اليسوعية: أي «نهاية» التدبير الإلهي الحاضر وإقامة ملكوت الله على وجه نهائي[4].

---

(١) راجع كتابنا: دولتنا آخر الزمان.
(٢) أي حجة عليهم.
(٣) متّىٰ: ٢٤/١٣ و ١٤.
(٤) الرهبانية اليسوعية ـ ط سنة (١٩٨٩) ـ العهد الجديد: ١٠٣.

ويقول السيد المسيح عن مقدمات قيام ملكوت الله: «وستسمعون بالحروب وبإشاعات عن الحروب فإياكم أن تفزعوا فلا بدّ من حدوثها، ولكن لا تكون النهاية عندئذ»[1].

وهذا موافق لما في مصادرنا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه حدد وقت ظهور الإمام المهدي وإقامته دولة الحق فقال: «المهدي يخرج في آخر الزمان»[2].

---

(١) متّى: ٦/٢٤.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٧٤/٢٢ عن غيبة الطوسي.

رقعته الجغرافية والاجتماعية

إن حكم الله عز وجل المبشر بحصوله في آخر الزمان يمتد على رقعة المعمورة ليشمل الأرض كلها، والشعوب جميعها.

إنه توحيد للكون، حيث تكون مشيئة الله في الأرض كما هي في السماء من حيث تطبيق الأوامر الإلهية من قبل المخلوقات، وسيساهم البشر جميعاً في ذلك، حكومة عالمية إلهية عادلة موحّدة.

قال السيد المسيح لتلاميذه بعد أن ذكر الفتن والبلاءات التي سيتعرّضون لها قبل قيام ملكوت الله مشيراً إلىٰ عالمية البشارة بالملكوت: «ويجب أن تُعلن البشارة قبل ذلك إلىٰ جميع الأمم»[1].

لأن حكم الله حكم عالمي يشمل الأرض جميعاً، وسينعم به أهل المعمورة كلهم.

وقال السيد المسيح عليه السلام أيضاً:

«وسوف يأتي الناس من المشرق والمغرب، ومن الشمال والجنوب فيجلسون على المائدة في ملكوت الله»[2].

---

(١) مرقس: ١٣/١٠.
(٢) لوقا: ١٣/٢٩.

إنه مائدة الله لعباده جميعاً بعد جوع وتعب وعناء امتد على طول التاريخ حيث الانحراف عن الدين الإلهي.

وضرب السيد المسيح عليه السلام مثلاً لملكوت الله فقال:

«مثل ملكوت السمٰوات كمثل رجل زرع زرعاً طيباً في حقله..»[1].

ثم فسّره لتلاميذه فقال: «والحقل هو العالم»[2].

فملكوت الله لا يختص ببقعة معينة من الأرض فتُحرم بقية البقاع من خيره وفضله، بل هو عطاء الله للناس كافة وفي جميع أرجاء المعمورة.

وورد عندنا عن الإمام الباقر عليه السلام قوله في سعة دولة الإمام المهدي عليه السلام:

«يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه ولو كره المشركون، فلا يبقىٰ في الأرض خراب إلا عُمّر، وينزل روح الله عيسىٰ بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه»[3].

---

(١) متّىٰ: ١٣/٢٤.

(٢) متّىٰ: ١٣/٣٨.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١٩١/٢٤ عن كمال الدين.

شروط الدخول فيه

إن دولة الله العالمية في آخر الزمان سوف لا تقبل أي أحد من دون مواصفات معيّنة وشروط محدّدة، لأن خطّتها في تطبيق الأحكام الإلهية وهدفها في رفع مستوىٰ الإنسانية نحو الكمال بحاجة إلىٰ أناسٍ طاهرين ومستعدين للاستجابة للقيادة الربانية التي تسيّر هذه الدولة.

وملكوت الله هو آخر فرصة للإنسانية لتنال سعادتها على الأرض كما لو كانت في الجنّة، لأن تطبيق مشيئة الله يعني الصلاح والخير والبركة ورضا الله الذي هو مفتاح الخيرات للإنسان، فلا يمكن أن تفشل هذه التجربة، ولذا سوف لا يشترك فيها إلا من صلح من الناس، ولا يدخل فيها إلا نوعيات خاصة منهم، ومن هذه الشروط:

١ ـ البراءة:

يقول القديس مرقس في انجيله:

وأتوه بأطفال ليضع يديه عليهم فانتهرهم التلاميذ، ورأىٰ يسوع ذلك فاستاء وقال لهم: «دعوا الأطفال يأتون إليّ، لا تمنعوهم فلأمثال هؤلاء ملكوت الله.

الحق أقول لكم: من لم يقبل ملكوت الله مثل الطفل لا

يدخله[1].

الحق أقول لكم: إن لم ترجعوا فتصيروا مثل الأطفال لا تدخلوا ملكوت السماوات»[2].

إن الطفل هو البراءة والانصياع والاستماع والطاعة، بريءٌ في نواياه، منصاع لولي أمره، مستمع إليه، مطيع أمره، وهذه صفات تؤهل الإنسان أن يكون عضواً صالحاً في مجتمع ملكوت الله.

٢ ـ عدم الترف:

إن دولة الله عز وجل منتسبة إليه، وهو جل شأنه الكمال المطلق، فعلىٰ شعب هذه الدولة أن يتخلّق بأخلاق الله الكريمة كي يحصل على اللياقة اللازمة للانضمام إلىٰ هذه الدولة الربانية.

يقول السيد المسيح عليه السلام:

«ما أعسر دخول ملكوت الله على ذوي المال، فلأن يدخل الجمل في ثَقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله».

لأن الغني أشبع قلبه من حب الدنيا، واعتاد الترف، ولعلّه جمع ماله من طرق محرّمة، فلا يسهل عليه أن يعيش في دولة طاهرة شعارها الإيمان، ومنهجها العمل للدنيا والآخرة، والإنفاق في سبيل الله، والتواضع، وجهاد النفس، وكبح جماح الشهوات، وعدم الإسراف، وعدم التقتير، فكل ذلك يتعارض مع نفوس الأغنياء عادة، وعلى الأخص غير الصالحين منهم.

نعم، الغنىٰ إذا كان من الطرق المشروعة، وأُعطي ما عليه من حقوق ولم يؤدِّ إلىٰ طغيان صاحبه وإسرافه أو بخله، واستعمل في سبيل الله ومساعدة الناس والمجتمع فلا مانع منه، ولكن ما أقل الأغنياء الذين هم

---

(١) مرقس: ١٠/١٣ ـ ١٦، ولوقا: ١٨/١٥ ـ ١٧.
(٢) متّىٰ: ١٨/٣.

بهذه الصفة، ولعلّ أقل ما يُصاب به هو عدم تحمّله للمشاق والصعوبات، واعتياده على الراحة، وقد ورد أن آخر الأنبياء دخولاً إلىٰ الجنّة هو نبي الله سليمان لما أُعطي من الدنيا.

٣ ـ الصدق في الإيمان:

قال السيد المسيح عليه السلام لتلاميذه حول شروط دخول ملكوت الله:

«فإني أقول لكم: إن لم يزد برّكم على برّ الكتبة والفريسيّين لا تدخلوا ملكوت السموات»[١].

الكتبة والفريسيّون هم رجال الدين اليهود الذين كانوا يتصدرون الوضع الديني في بني إسرائيل حينها، وكان يغلب عليهم صفة الرياء والدجل الديني دون أن يرتبطوا بالدين الإلهي وبالشريعة كما ينبغي، بل يقولون ما لا يفعلون.

وقد تصدّىٰ لهم السيد المسيح، وفضح أمرهم، وناصبوه العداء حتىٰ كانت قصة اعتقاله ومحاولة صلبه ورفعه إلىٰ السماء.

إنهم نموذج سيّىء لعلماء الدين، ولا يصح أخذ الدين عنهم، واتباعهم، والاقتداء بهم، ولذا طلب السيد المسيح من أتباعه أن يترفّعوا عنهم، ويسبقوهم على طريق الإيمان والبرّ والصلاح كشرط أساس للقبول في دولة الحق وملكوت الله عز وجل.

إن حكم الله في دولته سيكون بأيدٍ أمينة صادقة، تسهر على تطبيقه بحق وعدالة، وهذا سيكون من أسباب نجاح الدولة الإلهية، وقد ورد في أحاديثنا: إذا صَلُح العالِم صَلُح العالَم.

وذلك لأن علماء الدين هم قدوة الناس ومرجعهم في الأحكام

---

(١) متّىٰ: ٥/ ٢٠.

والعقائد، فبصلاحهم يَصلح المجتمع، وبفسادهم يَفسد المجتمع، ويتأكد هذا إذا كانوا في موقع القيادة للمجتمع.

٤ ـ العمل بالأحكام:

قال السيد المسيح لتلاميذه:

«ليس من يقول لي: يا رب، يا رب (أي المربّي) يدخل ملكوت السماوات، بل من يعمل بمشيئة أبي (أي ربّي) الذي في السماوات»[١].

إن الانتماء إلىٰ النبي أو الدين ظاهرياً لا ينفع إن لم يكن معه عمل بأحكام الله عز وجل.

فالإيمان قول وعمل، ولا يُعدّ مسيحياً من يقول: إني مسيحي، أو ينادي باسم المسيح في حين أنه لا يعمل بما جاء به السيد المسيح.

وقد أوضح ذلك السيد المسيح نفسه لتلاميذه فقال:

«فمثل من يسمع كلامي هذا فيعمل به كمثل رجل عاقل بنىٰ بيته على الصخر، فنزل المطر وسالت الأودية، وعصفت الرياح فثارت على ذلك البيت فلم يسقط لأن أساسه على الصخر.

ومثل من سمع كلامي هذا فلم يعمل به كمثل رجلٍ جاهلٍ بنىٰ بيته علىٰ الرمل، فنزل المطر، وسالت الأودية، وعصفت الرياح، فضربت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه شديداً»[٢].

إن الذين سيدخلون ملكوت الله ودولته المباركة هم من الذين يعملون بما يعلمون، ويصدقون بإيمانهم بعيداً عن الرياء والمصالح الدنيويّة فيكون برّهم أكثر من برّ الدجالين وعلماء السوء والكتبة والفرّيسيين.

---

(١) متّىٰ: ٧/ ٢١.

(٢) متّىٰ: ٧/ ٢٤ ـ ٢٦.

الاستضعاف:

قال السيد المسيح عليه السلام لتلاميذه:

«طوبىٰ لكم أيها الفقراء فإن لكم ملكوت الله. طوبىٰ لكم أيها الجائعون الآن فسوف تشبعون. طوبىٰ لكم أيها الباكون الآن فسوف تضحكون»[١].

نعم إن ملكوت الله وحكمه ودولته في الأرض هي رحمة للفقراء والجائعين والباكين من الاضطهاد والظلم.

إنه حكم ليس فيه طبقيّة، ولا نهب، ولا استغلال، بل الجميع يتمتعون بلوازم العيش الكريم، والفضل والزيادة على قدر السعي والعمل.

فالفقراء الصالحون في ملكوت الباطل سيفرحون في ملكوت الله، والجائعون في ملكوت الشيطان سيشبعون في حكومة الله، والباكون في ملكوت الأنظمة الوضعية سيضحكون فرحاً في دولة الله القدسيّة.

إن ملكوت الله سيكون جنّة الله في الأرض، وكيف لا والقائد مرتبط بالله عز وجل بقدرة وسلطان، والنظام قائم على ما بعثه الله للإنسان من قوانين تنسجم مع طبيعته وطبيعة الحياة والكون، والشعب ذو أفراد تم انتقاؤهم ضمن مواصفات خاصة.

أما أهل الباطل فسيحرمون من دخول ملكوت الله وسيتحول نعيمهم إلىٰ شقاء، وضحكهم إلىٰ بكاء.

وقد خاطبهم السيد المسيح عليه السلام بعد أن جمعهم تحت اسم «الأغنياء» فقال لهم:

«لكن الويل لكم أيها الأغنياء فقد نلتم عزاءكم. الويل لكم أيها الشباع الآن فسوف تجوعون. الويل لكم أيها الضاحكون الآن فسوف تحزنون وتبكون»[٢].

---

(١) لوقا: ٦/ ٢٠ و ٢١.

(٢) لوقا: ٦/ ٢٤ و ٢٥.

إن ملكوت الله سيكون محكمة الله المصغرة في الدنيا قبل يوم القيامة، فينال الظالم جزاءه والمظلوم حقّه، وسيكون يوم حزن للطواغيت والاستغلاليين، ويوم عزاء للمترفين والمستهزئين بالمؤمنين.

ستنقلب الموازين في ملكوت الله، أو بالأحرىٰ ستعود إلىٰ حالتها الصحيحة، فالخير والسعادة للحق وأهله، والشر والتعاسة للباطل وأهله، ولا ظلم في حكومة الله ودولته، بل العدل، والمساواة، وإعطاء الحقوق، ورفع المظالم، ونصرة المظلومين والمضطهدين والمحرومين.

سوف لا نجد في ملكوت الله فقيراً، ولا بائساً، ولا حزيناً، ولا مظلوماً، ولا حائراً تائهاً، بل الجميع في خير وسعادة وتكافل ومحبة وصلاح وهداية، فطوبىٰ لمن أدرك ذلك اليوم.

قال السيد المسيح عليه السلام لتلاميذه[١] :

«طوبىٰ لفقراء الروح فإن لهم ملكوت السماوات».

إنه أملهم ويوم خلاصهم.

«طوبىٰ للودعاء فإنهم يرثون الأرض».

فهي عطاء الله لهم، وقد وعدهم الله أن يسلّمهم الأرض لأنهم الصالحون لإدارتها وفق نظامه ودينه.

وهذا الوعد قديم بقدم الإنسان والأنبياء والصالحين، وقد قال الله تعالىٰ في القرآن الكريم: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون»[٢] .

إنه قرار ووعد إلهي والله لا يخلف الميعاد.

«طوبىٰ للمحزونين فإنّهم يعزّون».

سيكون قيام دولة الحق عزاء للمحزونين المظلومين والمضطهدين،

---

(١) متّىٰ: ٣/٤.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٥.

إنها خاتمة السوء لهم، وفيها دواء جروحهم.

«طوبىٰ للجياع والعطاش للبرّ فإنهم يشبعون».

هؤلاء توّاقون للخير، ومحبّون للصلاح وعطاشىٰ للبرّ والهداية.

إنهم نفوس صافية طاهرة تسعىٰ إلىٰ الكمال والحق والنور، رافضة للظلمات، ظلمات الجهل والضلال والانحراف. فطوبىٰ لهم في ملكوت الله حيث الحق والهداية والصلاح والكمال.

«طوبىٰ للرحماء فإنهم يُرحمون».

إنه يوم جزائهم الأصغر، يوم الجوائز الدنيوية، فبركة أعمالهم يرونها رحمة نازلة على قلوبهم في دولة رحيمة مرتبطة برحمة الله المطلقة.

«طوبىٰ لأطهار القلوب فإنهم يشاهدون الله».

إنها رؤية القلب لا رؤية العين، فالله جل وعلا أسمىٰ من أن تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، إنها عين القلب التي تدرك ما لا يدركه البصر، سيشاهدون الله وآياته وألطافه بأعين قلوبهم لأنها طاهرة لا غشاوة فيها، فطوبىٰ لهم في ملكوت الله وحكمه.

إن الذي يملك قلباً طاهراً ويرىٰ حاكماً مرتبطاً بالله، ويرىٰ نظاماً إلهياً يحكم الأرض تظهر فيه الحكمة والرحمة الإلهية، ولا يسمع ولا يشاهد إلا ما يذكّره بالله فإنه سيرىٰ الله بقلبه الطاهر.

«طوبىٰ للساعين إلىٰ السلام فإنهم أبناء الله يُدعون».

إنه السلام في كل شيء، سلام في الأمن، وسلام في العمل، وسلام في المعاملة، وسلام في العلاقات الاجتماعية، وسلام في القول، وسلام في الحكم.

فطوبىٰ للساعين إلىٰ السلام في ملكوت الله عز وجل ودولته فإن لهم درجة خاصة، ومقاماً محموداً، حيث سينسبون إلىٰ الله تكريماً

لهم[1] فهو السلام ومنه السلام ومن أسمائه «السلام» كما في القرآن الكريم.

«طوبى للمضطهدين على البرّ فإن لهم ملكوت الله».

لم يفتأ الاضطهاد يلاحق المؤمنين والأبرار على مرّ التاريخ، فهم الخطر الحقيقي على الظلم والظالمين، وهم الكابوس الثقيل الذي لا يغيب عن أحلام الطواغيت حتىٰ لو لم يقوموا بشيء، فهم بنظرهم خطر كامن لا يُعرف متىٰ ينفجر فيدمر عروشهم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إن أهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدّة، إن ذلك إلىٰ مدّة قريبة وعاقبة طويلة»[2].

نعم إن صراع الحق والباطل بدأ مع بداية الخليقة عندما قتل ابن آدم قابيل أخاه هابيل ظلماً وعدواناً، لأنه كان أفضل منه عند الله عز وجل. وحقد الظالمين على الأبرار يستبطن الخوف منهم، والحسد لهم علىٰ ما حووه من خير وصلاح، ولذا لم يسلم الأبرار منهم على مرّ التاريخ حتى الأنبياء والأولياء، ولكن عندما يظهر ملكوت الله، ويُطبق حكم الله في الأرض سيكون الشرف والغلبة والنجاة من الظلم للمضطهدين على البرِّ فطوبىٰ لهم يومئذ.

٦ ـ توفيق من الله:

إن الدخول في دولة الله يحتاج ـ إضافة إلىٰ سعي الإنسان وتحمّله مسؤولية تربية نفسه وإصلاحها ـ إلىٰ توفيق من الله عز وجل يناله سليم

---

(١) سنتناول ـ إن شاء الله ـ في بحث مستقل موضوع «ابن الله»، فإن إطلاق ذلك على السيد المسيح لا يعني الشرك بالله، وإنما هي نسبة تكريم لا نسبة ولادة مادية كما يوحي لها ظاهر اللفظ، وهذا القول للسيد المسيح عليه السلام أحد الأدلة على ذلك.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٥٨/ ١٢٥ عن غيبة النعماني.

النية، وصادق الإيمان، فيوفّقه الله لتحصيل أهلية الدخول فيه والتشرّف بالكون من أهله.

ولمّا ذكر السيد المسيح عليه السلام صعوبة دخول الغني في ملكوت الله وقال: «لأن يمرّ الجمل من ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت السماوات».

دهش تلاميذه دهشاً شديداً وقالوا: من تراه يقدر أن يخلص؟!

فحدّق إليهم يسوع وقال لهم: «أما الناس فهذا شيء يعجزهم، وأما الله فإنه على كل شيء قدير»[1].

هو الذي يرعىٰ الصالحين عبر التاريخ ويوفقهم لدخول دولة الله عز وجل في آخر الزمان، فهو على كل شيء قدير.

وأما المنحرفون والخبيثون فلا مكان لهم في ملكوت الله ولا يدخلونه.

قال السيد المسيح لتلاميذه:

«ومثل ملكوت السمٰوات كمثل شبكة أُلقيت في البحر فجمعت من كل جنس فلمّا امتلأت أخرجها الصيادون إلىٰ الشاطىء وجلسوا فجمعوا الطيّب في سلالٍ وطرحوا الخبيث.

وكذلك يكون عند نهاية العالم، يأتي الملائكة فيفصلون الأشرار عن الأخيار، ويقذفون بهم في أتون النار فهناك البكاء وصريف الأسنان»[2].

٧ ـ صدق الإيمان:

وقد يدخل في ملكوت الله مَن لم يكن صالحاً بتوبته وإيمانه، بينما يُمنع الذي كان يدّعي الصلاح والدين إلا أنه لم يؤمن على الحقيقة يُمنع

---

(١) متّىٰ: ١٩/٢٣ ـ ٢٦.
(٢) متّىٰ: ١٣/٤٧ ـ ٥٠.

دخوله كما هو حال بعض رجال الدين المزيّفين.

قال السيد المسيح لعظماء الكهنة وشيوخ الشعب في الهيكل[1] معرّضاً بهم لعدم إيمانهم بنبي الله يحيىٰ الذي كان في زمانه وسبق ظهوره:

«ما رأيكم؟ كان لرجل ابنان، فدنا من الأول وقال له: يا بُني اذهب اليوم واعمل في الكرم.

فأجابه: لا أريد.

ولكنّه ندم بعد ذلك فذهب، ودنا من الآخر وقال له مثل ذلك فأجاب: ها إني ذاهب يا سيد.

ولكنّه لم يذهب، فأيهما عمل بمشيئة أبيه؟».

فقالوا: الأول.

قال لهم يسوع: «الحق أقول لكم: إن العشّارين والبغايا يتقدمونكم إلىٰ ملكوت الله، فقد جاءكم يوحنّا سالكاً طريق البِرِّ فلم تؤمنوا به، وأما العشّارون والبغايا فآمنوا به، وأنتم رأيتم ذلك فلم تندموا آخر الأمر فتؤمنوا»[2].

هذا هو شرط الدخول في دولة الله، الإيمان بالنبي والذي هو قول وعمل، ومن لم يؤمن فلا مكان له في ملكوت الله.

ثم قال لهم:

«اسمعوا مثلاً آخر: غرس رب بيتٍ كرماً فسيّجه وحفر فيه معصرة وبنىٰ بُرجاً وآجره بعض الكرّامين ثم سافر.

فلمّا حان وقت الثمر أرسل خدمه إلىٰ الكرّامين ليأخذوا ثمره، فأمسك الكرامون خدمه فضربوا أحدهم وقتلوا غيره ورجموا الآخر، فأرسل

---

(١) الهيكل: معبد اليهود الكبير في القدس.
(٢) متّىٰ: ٢١/٢٨ ـ ٣٢.

أيضاً خدماً آخرين أكثر عدداً من الأولين ففعلوا بهم مثل ذلك.

فأرسل إليهم ابنه آخر الأمر وقال: سيهابون ابني، فلمّا رأىٰ الكرّامون الابن قال بعضهم لبعض: هوذا الوارث، هلمّ نقتله ونأخذ ميراثه.

فأمسكوه وألقوه في خارج الكرم وقتلوه!

فماذا يفعل رب الكرم بأولئك الكرامين عند عودته؟».

قالوا له: يهلك هؤلاء الأشرار شرّ هلاك، ويؤجر الكرم كرّامين آخرين يؤدون إليه الثمر في وقته.

قال لهم يسوع: «... لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سيُنزع منكم ويُعطىٰ لأمّةٍ تثمر ثمره»[1].

يقول القديس متىٰ: فلمّا سمع عظماء الكهنة والفرّيسيّون أمثاله أدركوا أنه يُعرّض بهم في كلامه فحاولوا أن يُمسكوه ولكنّهم خافوا الجموع لأنّهم كانوا يعدّونه نبيّاً[2].

نعم، إن علماء السوء خانوا الأمانة ولم يؤدوا ما عليهم من واجبات في العمل بالدين وإبلاغهم للناس بل تحوّل أمرهم إلىٰ متاجرة به، وتحصيل المكاسب الدنيويّة عن طريقه.

وهكذا كان حال الكتبة والفريسيّين، ولذا تصدىٰ لهم السيد المسيح وفضح دجلهم.

يقول القدس متّىٰ: وكلّم يسوع الجموع وتلاميذه قال:

«إن الكتبة والفريسيين على كرسي موسىٰ جالسون، فافعلوا ما يقولون لكم واحفظوه، ولكن أفعالهم لا تفعلوا لأنهم يقولون ولا يفعلون، يحزمون أحمالاً ثقيلة ويلقونها على أكتاف الناس ولكنّهم يأبون تحريكها بطرف

---

(١) متّىٰ: ٢١/ ٣٣ ـ ٤٤.

(٢) متّىٰ: ٢١/ ٤٥ و ٤٦.

الإصبع، وجميع أعمالهم يعملونها لينظر الناس إليهم...».

وقد خاطبهم مرّة فقال لهم:

«الويل لكم أيها الكتبة والفريسيّون المراؤون، فإنكم تقفلون ملكوت السمٰوات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون ولا الذين يريدون الدخول تدعونهم يدخلون»[1].

إنهم قطاع طريق عباد الله السائرين إليه، فلا هم صالحون يدخلون ملكوت الله ولا يتركون الناس تسير في طريق الصلاح كي تحصل على الأرضيّة التي تؤهّلهم للدخول في دولة الله عز وجل، فيما احتلّوا موقع المعرفة التي هي بداية الصلاح والهداية، وهذا ما قاله السيد المسيح عليه السلام لهم:

«الويل لكم يا علماء الشريعة، قد استوليتم على مفتاح المعرفة، فلم تدخلوا أنتم والذين أرادوا الدخول منعتموهم»[2].

---

(١) متّىٰ: ١٣/٢٣ و ١٤.

(٢) لوقا: ٥٢/١١.

مواصفات أهله

إن التفاضل أحد سنن الحق والعدالة في الوجود، فإن لم يُعطَ الأفضل حقه فقد ظُلم، وإن أُعطي المفضول أكثر مما يُعطىٰ الفاضل أو وضع في موضعه فهو إخلال بالحكمة التي هي «وضع الشيء في محلّه» وإفساد في النظام، وهذا ما يسعىٰ الدين الإلهي إلىٰ رفعه من الحياة البشرية.

إن المجرمين يجب أن لا يحكموا، فإنهم إذا استلموا مقاليد الأمور تحوّلوا إلىٰ طواغيت وجبابرة لا يهتمون حتىٰ بقتل الملايين من البشر، كما فعل هتلر وغيره.

وفي مجتمع دولة الله وملكوت الله في الأرض سيوضع كلٌّ في محلّه المناسب، فالقيادة للذي يرتبط بالسماء بسلطان وعصمة وتسديد يساعده في قيادة المجتمع نحو الكمال والسعادة الإنسانية الخالصة، وكذلك بقية أفراد المجتمع كلٌّ له موقعه المناسب دون أي تزوير وتلاعب.

فالتفاضل سنّة الحياة الاجتماعية على مدىٰ التاريخ إلا أن مشكلة الإنسان هي في المقياس المستعمل في هذا التفاضل، فهو عند الله يقوم على أساس التقوىٰ: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

والتقوىٰ تعني الصلاح والخُلق الرفيع، أما عند الناس فإنه يقوم على

أساس القوة والجاه والمال من دون الأخذ بنظر الاعتبار صلاح الإنسان وأخلاقه والتي لا توجد عادةً عندهم.

يقول السيد المسيح عليه السلام:

«فمن خالف وصيّة من أصغر تلك الوصايا وعلّم الناس أن يفعلوا مثله عدّ الصغير في ملكوت السموات. وأما الذي يعمل بها ويعلّمها فذاك يُعدّ كبيراً في ملكوت السموات»[1].

إنه التفاضل على أساس التقوىٰ، فالذي يخالف إحدىٰ الوصايا العشر[2]، وأصغرها، وتجاهر بذلك وتعلّم الناس منه فإنّ له المقام الأدنىٰ في مجتمع حكومة الله، أما الذي يعمل بها ويعلّمها الناس فذاك الذي يحظىٰ بالمقام الأسنىٰ في مملكة الله عز وجل، لأن مقياس التفاضل الاجتماعي سيُصلح في دولة الله على أساس العدالة ووفق مراتب الكمال الإنساني وهو يتناسب طردياً مع التقوىٰ والالتزام.

يقول القديس متىٰ:

وسألوه: من تراه الأكبر في ملكوت السمٰوات؟

فدعىٰ طفلاً فأقامه بينهم وقال: «الحق أقول لكم: إن لم ترجعوا فتصيروا مثل الأطفال لا تدخلوا ملكوت السموات، فمن وضع نفسه وصار مثل هذا الطفل فذاك هو الأكبر في ملكوت السمٰوات»[3].

إن للأطفال طهارة وبراءة قلّما يحويها الكبار، وملكوت الله وحكمه في الأرض يريد أناساً طاهرين كالأطفال ثم يقوم هو بتربيتهم والسير بهم في طرق الكمال.

---

(١) متّىٰ: ١٩/٥.
(٢) من الوصايا: لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تظلم، أكرم أباك وأمك.
(٣) متّىٰ: ١/١٨ ـ ٤.

إن الطفل لا يحوي كمالاً وعلماً وصلاحاً مكتسباً وإنما هو أرضية صالحة، وبراءة في مواجهة الأمور، ومن ثم يخضع لعملية التربية والتعليم ليُزرع في أرضه الخصبة كل نبت صالح، ويُقتلع منها كل شوكٍ.

وأفضل صفة لدىٰ الطفل في عملية التربية هي إنصاته وطاعته وقبوله للتربية والتعليم، وهذا ما أشار إليه السيد المسيح عليه السلام فقد حدد الصفة المطلوبة في الطفل والتي يُراد من الناس الاتصاف بها للدخول في ملكوت الله، وعلى ضوئها ومقدار ما يأخذ منها الإنسان يحصل له الشأن والرتبة في مجتمع دولة الله، فقال:

«فمن وضع نفسه وصار مثل هذا الطفل فذاك هو الأكبر في ملكوت السماوات».

وإذا كان التواضع الذي يعطي صاحبه قدرة الاستماع والانقياد والتفهّم، إذا كان طبيعياً لدىٰ الأطفال فعلىٰ الكبار أن يكتسبوه ويتعلّموه ليكونوا الأكبر في مملكة الله عز وجل المرتقبة.

يقول السيد المسيح لتلاميذه:

«وسوف يأتي الناس من المشرق والمغرب، ومن الشمال والجنوب فيجلسون على المائدة في ملكوت الله فهناك آخِرون يصيرون أوّلين وأوّلون يصيرون آخِرين»[1].

إن عملية التغيير والتربية في مملكة الله آخر الزمان ستؤدي إلىٰ تغيير في تفاضل الناس، فبعض يرتفع شرفاً وكمالاً وآخرون لا يلحقون بهم، وربما كان الآخرون في السابق أكثر كمالاً وصلاحاً من الأولين، والأمر متوقف على مقدار الاستجابة، والسعي نحو الصلاح، وبذل الجهد، ومجاهدة النفس الأمارة بالسوء.

وظروف التربية السليمة غير مهيّأة لكل الناس حالياً، فكثير منهم

---

(١) لوقا: ١٣/٢٩ و ٣٠.

يملك أرضية صالحة للكمال والارتقاء في سلّم الإيمان والصلاح، وسيحظىٰ هؤلاء بفرصة الهداية في مملكة الله التي ستوفر ذلك لكل الناس على السواء، فبعض يتقدّم، وبعض كان له تقدّم في السابق إلا أن الجُدد سيسبقونه فيصبح آخِرون أوّلين وأولون آخرين.

وقد ضرب السيد المسيح لتلاميذه مثلاً يوضح هذا الأمر فقال لهم:

«فمثل ملكوت السموات كمثل رب بيتٍ خرج عند الفجر ليستأجر عَمَلةً لكرمه. فاتفق مع العملة على دينارٍ في اليوم وأرسلهم إلى كرمه. ثم خرج نحو الساعة التاسعة فرأىٰ عملةً آخرين قائمين في الساحة بطّالين فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلىٰ كرمي وسأعطيكم ما كان عدلاً. فذهبوا.

وخرج أيضاً نحو الظهر ثم نحو الثالثة بعد الظهر ففعل مثل ذلك، وخرج نحو الخامسة بعد الظهر فلقي أناساً آخرين قائمين هناك فقال لهم: لماذا قمتم هٰهنا طوالَ النهار بطّالين؟

قالوا له: لم يستأجرنا أحد.

قال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلىٰ كرمي.

ولما جاء المساء قال صاحب الكرم لوكيله: ادعُ العَمَلة وادفع لهم الأجرة مبتدئاً بالآخِرين منتهياً بالأولين.

فجاء أصحاب الساعة الخامسة بعد الظهر وأخذ كل منهم ديناراً، ثم جاء الأولون فظنّوا أنهم سيأخذون أكثر من هؤلاء، فأخذ كل منهم أيضاً ديناراً، وكانوا يأخذونه ويقولون متذمّرين على رب البيت: هؤلاء الذين أتوا آخِراً لم يعملوا غير ساعة واحدة فساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار وحرّه الشديد.

فأجاب واحداً منهم: يا صديقي ما ظلمتك، ألَم تتفق معي على دينار؟ خذ مالك وانصرف. فهذا الذي أتىٰ آخراً أريدُ أن أعطيه مثلك، ألا يجوز لي أن أتصرّف بمالي كما أشاء؟ أم عينك حسود لأني كريم.

فهكذا يصيرُ الآخِرون أولين والأوّلون آخرين»[1] .

إن إعطاء أجرة الآخرين قبل الأولين ليس هو بيت القصيد في هذا المثل وإنما أورده ترتيباً لأحداث هذه القصة كي يرىٰ الأولون ما يُعطىٰ الآخِرون فيعترضون على التساوي في الأجرة.

إن من ألطاف الله عز وجل بعباده أنه ترك باب العودة والتوبة والهداية مفتوحاً أمامهم إلى آخر لحظة يعيش فيها الإنسان في الدنيا، ولو جاء متأخراً لا يكون محروماً من الهداية بل أمامه فرصة تساوي الفرصة التي مُنحت لمن تقدّم عليه.

وهذا لا يعني أن المتقدم قد خسر تقدّمه ولو تأخّر لكان أفضل له، وذلك لأن التقدم في الهداية يُعطي صاحبه عدّة امتيازات:

الأول: أنه ضمن مستقبله، وأسرع إلىٰ الخير، فيما بقي المتأخر يعالج حظّه، وقد يحصل على الهداية آخر المطاف وقد لا يحصل عليها.

الثاني: في القدم رسوخ في الإيمان والصلاح، وهذه صفة توجب الفضل لصاحبها على المتأخرين، إلا أن المثل المضروب ـ على ظنّ دقّة نقله من قبل القديس متّىٰ ـ لم ينظر إلىٰ هذه الحالة وإنما افترض أن الأولين والآخِرين كانوا بمستوى واحد من العمل في الكرم، أي بمستوىٰ واحد من الهداية ولا فرق سوىٰ الزمن.

ثم إن النتيجة التي طرحها المثل تشير ظاهرياً إلىٰ التقدم والتأخر في تسلّم الأجرة فيصير الآخِرون أولين والأولون آخرين في حين كان الاعتراض من قبل الأولين على تساوي العطاء وليس التقدم والتأخر في استلامه.

ولعلّه يرمز إلىٰ التقدّم المعنوي المبني على ظاهر فوز مَن جاء متأخراً على من تقدم والنتيجة واحدة لكليهما، وكان الجواب أن المعطي يملك

---

(١) متّىٰ: ٢٠/١ ـ ١٦.

الاختيار ولا ظلم للأجراء لأنهم أخذوا ما اتفقوا معه على أخذه، وهو في حالة الله عز وجل ـ ولله المثل الأعلىٰ ـ أن الله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، واشاءته مبتنية على أسباب، منها في هذه الحالة أن فضل الله كان في ترك باب التوبة والهداية مفتوحاً أمام الجميع وإلىٰ النهاية، وهو ـ كما في هذا المثل ـ قد عامل الأولين بعدله وعامل الآخِرين بفضله، وخصوصاً أن الآخرين كانوا معذورين في تأخرهم لعدم توفّر فرص الهداية، كما يشير إلى ذلك قولهم في المثل المذكور بعد أن سألهم صاحب الكرم: لماذا قمتم ها هنا طوال النهار بطّالين؟

قالوا له: لم يستأجرنا أحد.

إنهم كانوا ينتظرون الهداية كل الوقت ولكن لم تحن الفرصة لهم، ولو كانت لما تأخروا، ولكانوا مع الأولين المتقدمين، وبذلك استحقّوا اللطف الإلهي بأن يُعطيهم ما يُعطي الأولين، ولأجل أنه عاملهم بلطفه صاروا أولين فيما أصبح الأولون آخرين لأنه عاملهم بعدله واللطف أسمىٰ وأشرف من العدل.

وعلى أي حال، فإن النتيجة التي نخلص إليها في هذا الأمر أن الناس في ملكوت الله سيتفاضلون بالإيمان والتقوىٰ والصلاح وبفرص متساوية، والميدان مفتوح أمام المتسابقين، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون.

وسيصل البعض إلىٰ أعلى الدرجات حتىٰ عبّر عنهم السيد المسيح بأنهم الصديقون فوصفهم وقال:

«والصديقون يشعّون حينئذ كالشمس في ملكوت أبيهم (أي ربهم)»[1].

إنه شعاع الإيمان ونور التقوىٰ.

---

(١) متىٰ: ١٣/ ٤٣.

أهميته وبركاته

إن ملكوت الله عز وجل وحكمه في الأرض هو أسمىٰ هدف يسعىٰ إليه الإنسان والمجتمع في الحياة الدنيوية.

فلو سمع أحدنا بدولة فيها ملك عادل يحسن رعاية شعبه، ويغدق عليهم النعم، ويعفو عنهم، ولا يظلم منهم أحداً، بل له جهاز حاكم يمنع كل ظلم، ويحل كل مشكلة، فكم تتوق نفسه إلىٰ الدخول في هذه الدولة وهذا المجتمع! فكيف بدولة الله، وحكم الله، وقيادة أولياء الله دون الأشرار!

يقول السيد المسيح عليه السلام:

«مثل ملكوت السموات كمثل كنز دفن في حقل وَجدَه رجل فأعاد دفنه ثم مضىٰ لشدّة فرحه فباع جميع ما يملك واشترىٰ ذلك الحقل»[١].

إنه كنز شامل لكل ما يهوىٰ الإنسان ويحب، فيه العدالة، وفيه الهداية، والعلم، والضمان، والإيمان، والمحبّة، وكل خير.

وقال أيضاً:

---

(١) متّىٰ: ١٣/٤٤.

«ومثل ملكوت السموات كمثل تاجر كان يطلب اللؤلؤ الكريم، فوجد لؤلؤة ثمينة، فمضىٰ وباع جميع ما يملك واشتراها»[1].

هكذا يطلب ملكوت الله وحكمه المؤمنون والصالحون والعارفون بالحقائق كما يطلب التاجر الماهر اللؤلؤة الثمينة ويقدم كل ما يملك ثمناً لها.

وسيسعد بهذه الدولة الكريمة ليس فقط سكانها بل حتىٰ سكان السماوات من الملائكة فإن رضاهم من رضا الله عز وجل ولا يسعدهم غير ذلك.

قال السيد المسيح عليه السلام:

«مثل ملكوت السموات كمثل حبّة خردل أخذها رجل فزرعها في حقله، هي أصغر البذور كلّها، فإذا نمت كانت أكبر البقول، بل صارت شجرة حتىٰ أن طيور السماء تأتي فتعشش في أغصانها»[2].

إن خيرها سيعم الجميع، وسيحصل الانسجام التام في الوجود فإن الذي يخالف قوانين الكون والوجود الإلهية هو الإنسان فقط، لما أعطاه الله من الاختيار في الطاعة والمعصية، في حين يُسبّح الكون كلّه والموجودات بحمده، وتطيع أوامره بشكل ذاتي.

فإذا أطاع الإنسان الله عز وجل فرداً ومجتمعاً لما كان في الوجود خارج عن طاعة الله، ولكان الكل يسير وفق منهج واحد بتناسق وانسجام، وهذا كفيل بسعادة الإنسان.

وقد ذُكر في مؤلفات علمائنا أن مجتمع دولة الله سيرتفع في سلّم الكمال والإيمان حتىٰ تقل الفاصلة بينه وبين العالم الغيبي، لأنه سيتسامىٰ على المادة، وتقوىٰ لديه الروح حتى يعود يرىٰ الملائكة، ولعل مثل السيد

---

(١) متىٰ: ١٣/٤٥ و ٤٦.
(٢) متىٰ: ١٣/٣١ و ٣٢.

المسيح عليه السلام يشير إلىٰ هذا الانسجام والوضوح بين الإنسان والملائكة في ملكوت الله فتأتي طيور السماء لتعشعش في أغصان شجرة ملكوت الله على الأرض.

ومن بركات ملكوت الله الزيادة في النعم الإلهية، قال السيد المسيح عليه السلام لتلاميذه:

«فلا تهتموا فتقولوا: ماذا نأكل؟ أو: ماذا نشرب؟ أو: ماذا نلبس؟ فهذا كلّه يسعىٰ إليه الوثنيون، وأبوكم السماوي (أي الأب المربي) يعلم أنكم تحتاجون إلىٰ هذا كلّه، فاطلبوا أولاً ملكوته وبرّه تزادوا هذا كلّه»[1].

وقال الله عز وجل في قرآنه الكريم: **﴿ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾**[2].

إن الخيرات والنعم كثيرة على الأرض، إلا أن طريق تحصيلها الواسع يمر عبر بوّابتين:

الأولىٰ: رضا الله تعالىٰ وطاعته، مما يفيض على الإنسان بركات وبركات.

الثانية: تطبيق النظام العادل والذي يكفل توزيع الثروات والفرص على أبناء المجتمع بشكل عادل، وليس هناك نظام أعدل وأصلح وأنفع من النظام الإلهي لأن واضعه العليم الحكيم جل وعلا.

فالعقل يحكم بضرورة بذل الجهود والجهاد في طلب حكم الله وملكوته كبابٍ واسعٍ للخير بدل حصر الهمم والطاقات في البحث عن المأكل والمشرب والملبس، وفي أمور جزئية يسعىٰ لها حتىٰ الأشرار من الناس، ولا تشكّل بحدّ ذاتها هدفاً للحياة، فما خلقنا لنأكل ونشرب ونلبس وإنما نمارس ذلك لنحيا، ونحيا لنعمل ونجد ونجتهد في طريق الكمال

---

(١) متّىٰ: ٦/ ٣١ ـ ٣٣.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

الفردي والاجتماعي.

وقيمة الإنسان تكمن في عقله وروحه وأخلاقه، وليس في جسمه المادي أو شهواته المؤقتة، وبذلك يختلف عن سائر الموجودات في الكون واستحق لقب «خليفة الله» في الأرض كما قال تعالىٰ للملائكة عندما أراد أن يخلق آدم: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾[1] .

لم يعطِ الله تعالىٰ هذه الأمانة جبلاً أو أسداً أو حتىٰ مَلَكاً من الملائكة وأعطاها الإنسان، لأنه يستطيع حملها إذا استجاب لربّه وأدىٰ ما عليه.

---

(١) سورة البقرة: ٣٠.

مقدماته التاريخية

سوف لا يكون ملكوت الله وحكمه في الأرض تحولاً مفاجئاً في حياة الناس، ولا بناءً اجتماعياً يبدأ من الصفر بين عشية وضحاها، وإنما هو عملية تغييرية بدأت منذ بداية وجود الإنسان على الأرض واستمرت لتنفذ في أعماق الإنسان والمجتمع الإنساني وتثمر في آخر المطاف.

فملكوت الله وحكمه ثمرة لحركة الإيمان والدين الإلهي في التاريخ البشري، وهذه الحركة بدأها الأنبياء عليهم السلام واستمروا بها خلال الأجيال البشرية المتعاقبة ليزداد المؤمنون عدداً، وتنضج النفوس البشرية نحو الاستعداد لبناء مجتمع النظام الإلهي في الأرض، الذي يحمل عقائد إلهيّة، ونظاماً ربانيّاً يتكفّل بسعادة الإنسان الفرد والمجتمع.

يقول السيد المسيح عليه السلام عن المقدمات التاريخيّة للملكوت:
«مثل ملكوت السموات كمثل خميرة أخذتها امرأة فجعلتها في ثلاثة مكاييل من الدقيق حتىٰ اختمرت كلها».

يقول القديس متىٰ: هذا كله قاله يسوع للجموع بالأمثال ولم يقل لهم شيئاً من دون مثل ليتم ما قيل على لسان النبي:
«أتكلّم بالأمثال وأعلن ما كان خفيّاً منذ إنشاء العالم».

هذه هي قصة الحياة يعلنها السيد المسيح لأن البشرية بدأت تنضج في

زمانه وتستوعب قضية الدين الإلهي والإيمان.

فالخميرة الإيمانية طرحت منذ البداية في المجتمع البشري إلا أن مسألة الملكوت بدأت تتضح كثيراً في زمن السيد المسيح عليه السلام.

وذلك لأن الدين الإلهي كان قد مرّ بمراحل تدريجية في تعريف الإنسان بخالقه، وتعويده العبادة، فكانت عقيدة التوحيد قد اكمل طرحها بشكلها الصريح في نبوّة إبراهيم خليل الله عليه السلام، والشريعة طرحت بشكل واسع وغير نهائي في زمن موسىٰ عليه السلام.

هذا بالإضافة إلىٰ العملية التربوية التي خضعت لها البشرية خلال التاريخ، وحالات التأديب التي مرّت بها على شكل عقوبات تنزل على القرىٰ والأقوام المنحرفين بعد أن يستخلص منهم الصالحين، كما حدث في قوم لوط وعاد وثمود.

وكان من أكبر عمليات التطهير البشري ما جرىٰ على عهد نبي الله نوح عليه السلام الذي مكث في قومه تسعمائة وخمسين عاماً يدعوهم فما آمن به إلا قليل، فجاء الطوفان ليهلك الجميع ولا يُبقي إلا الثلّة المؤمنة مع نوح، وكان ابنه من الهالكين.

كل ذلك هو عمليّات تربوية للمجتمع البشري تحضّره لليوم الموعود، يوم ظهور حكم الله الشامل عقيدةً ونظاماً، فتصلح الأرض بمشيئة ربّها، ويتحقق الهدف من إيجاد الخليقة وهو العبادة لله عز وجل في كافة شؤون الحياة.

وقد أخذت هذه المراحل زمناً طويلاً في الحياة البشرية بلغ آلاف السنين، وتخلّله بعث (١٢٤) ألف نبي خمسة منهم ذوو رسالات عالمية شاملة والآخرون أنبياء محليّون، فما من قرية إلا خلا فيها نذير.

ويمكن اعتبار أهم هذه المراحل في المسيرة البشريّة من حيث النتائج وعمق التجربة وشدّة الأداء ما كان ويكون في أواخرها ـ وهو ما يدعىٰ بآخر الزمان ـ ابتداءً من عصر عيسىٰ عليه السلام وحتىٰ يوم القيامة، وقد قال

السيد المسيح مراراً معلناً اقتراب مرحلة الملكوت:

«حان الوقت واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشارة»[1].

وكان من قبله نبي الله يحيىٰ الذي سلّم إليه أمانة النبوّة، كان ينادي في بريّة اليهوديّة فيقول: «توبوا، قد اقترب ملكوت السمٰوات»[2].

مشيراً إلىٰ قرب ولادة السيد المسيح الذي هو أحد عناصر ملكوت الله في الأرض.

وبعد اعتقال نبي الله يحيىٰ بدأ يسوع من ذلك الحين ينادي فيقول:

«توبوا قد اقترب ملكوت السماوات»[3].

وأوصىٰ تلاميذه قائلاً:

«... اذهبوا إلىٰ الخراف الضالّة من بني إسرائيل وأعلنوا في الطريق أن: قد اقترب ملكوت الله»[4].

وفي هذه الفترة التي بلغت الآن حدود الألفي عام تم وضع الصيغة النهائية للدين الإلهي، وتعيين القائمين على تنفيذه، ووضع اللمسات الأخيرة على المشروع الإلهي في خلق الإنسان والإنسانية.

وهذه الفترة بدأت ببعثة السيد المسيح عليه السلام وستنتهي بظهور حكم الله وقيامه على الأرض، وعودة السيد المسيح للمشاركة في إدارته.

وتخلّل هذه الفترة بعثة النبي محمّد صلى الله عليه وآله خاتماً للأنبياء، ومكملاً لرسالاتهم، حيث جاء بالإسلام شريعة متكاملة عقائد وأحكاماً فردية واجتماعية تعالج كافة شؤون الحياة التربوية والسياسية والاجتماعية ليكون الأساس التربوي والتشريعي لملكوت الله في الأرض.

---

(١) مرقس: ١/١٤ و ١٥.
(٢) متّىٰ: ٣/١ و ٢.
(٣) متّىٰ: ٤/١٧.
(٤) لوقا: ١٧/٢٠.

والذي يدرس ما جاء به الإسلام، وبإنصاف، يخرج بهذه الحقيقة التي ذكرناها، وهي تكمن وراء الخوف الذي تبديه الأنظمة السياسية العالمية القائمة من الإسلام فقد وجدت فيه البديل الكفء والمرغوب لأنظمتها المتعبة وغير العادلة.

ونحن لا نريد هنا الدعوة للإسلام باعتبارنا مسلمين وإنما نعالج الموضوع باستقلالية إنسانية، ونشير إلىٰ حقيقة قد لا يعترف بها ذو الرأي المخالف إذا تعصّب لرأيه، ولكن لا يشك فيها كل منصف من كافة الأديان والمذاهب.

فحتىٰ لو ناقش بعضهم في نبوّة محمد صلى الله عليه وآله إلا أنه لا يناقش ـ لو أنصف ـ بأن الإسلام دين واسع متكامل يكفي لإقامة دولة عالمية ذات نظام منطقي عادل.

واهتمام السيد المسيح بالملكوت الإلهي، وجعل أساس رسالته التبشير بهذا الملكوت إنما يعود لأمرين مهمّين:

الأول: أنه سيشارك بنفسه في تشييد هذا الحكم الإلهي على الأرض.

الثاني: أن قومه ومن سينتسبون إليه سيشاركون فيه أيضاً، أي أن المسيحيين سيبقون إلىٰ الوقت الذي يظهر فيه هذا الحكم، وبالتالي يكون معنيّاً به، ويعدّه جزءاً مهماً من هدف بعثته.

ومن هنا نجد أن السيد المسيح عليه السلام كان يتحدث عن الملكوت بمرحلته الأخيرة ـ من حيث حركة الأنبياء ـ وكأنه بدأ ببعثته وعمله التغييري، وما ذاك إلا لأهمية هذه المرحلة، مع أن التبشير بملكوت الله كان على لسان الأنبياء عليهم السلام.

يقول القديس لوقا: دام عهد الشريعة والأنبياء حتىٰ يوحنا، ومن ذلك الحين يُبشّر بملكوت الله، وكل امرِئٍ ملزمٌ

بدخوله[1].

ويقول السيد المسيح عليه السلام:

«فمنذ أيام يوحنّا المعمدان إلىٰ اليوم ملكوت السموات يؤخذ بالجهاد، والمجاهدون يختطفونه. فجميع الأنبياء قد تنبّأوا، وكذلك الشريعة[2] حتىٰ يوحنّا»[3].

إن السيد المسيح عليه السلام كان أول من أطلق العد العكسي لقيام ملكوت الله لأنه يمثل المرحلة الفعلية لقيامه، وقد وصف عمله في ذلك لجموع الناس بالأمثال فقال:

«هوذا الزارع قد خرج ليزرع، وبينما هو يزرع وقع بعض الحبّ على جانب الطريق فجاءت الطيور فأكلته.

ووقع بعضه الآخر على أرض حجرةٍ لم يكن له فيها ترابٌ كثير فنبت من وقته لأن ترابه لم يكن عميقاً، فلما أشرقت الشمس احترق ولم يكن له أصل فيبُس.

ووقع بعضه الآخر على الشوك فارتفع الشوك فخنقه، ووقع بعضه الآخر على الأرض الطيّبة فأثمر بعضه مائة، وبعضه ستين، وبعضه ثلاثين، فمن كان له أذنان فليسمع!»[4].

ثم فسّر المثل لتلاميذه خاصة فقال:

«كل من سمع كلمة الملكوت ولم يفهمها يأتي الشرير[5] ويخطف ما زُرع في قلبه، فهذا هو الذي زُرع في جانب الطريق.

---

(١) لوقا: ١٦/١٦.
(٢) أي شريعة موسى.
(٣) متّىٰ: ١١/١٢ ـ ١٣.
(٤) متّىٰ: ١٣/٣ ـ ٩.
(٥) أي الشيطان.

وأما الذي زرع في الأرض الحَجِرَة فهو الذي يسمع الكلمة ويتقبّلها لوقته فرحاً ولكن لا أصل له في نفسه، فلا يثبت علىٰ حاله، فإذا حدثت شدّة أو اضطهاد من أجل الكلمة عثر لوقته.

وأما الذي زُرع في الشوك فهو الذي يسمع الكلمة ويكون له من همّ الحياة الدنيا وفتنة الغنىٰ ما يخنق الكلمة فلا تخرج ثمراً.

وأما الذي زُرع في الأرض الطيبة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهمها فيثمر ويُعطي بعضه مائة وبعضه ستين وبعضه ثلاثين»[١] .

إنه كلام الأنبياء، وعلم الأولياء، وصف فيه السيد المسيح عليه السلام بداية ملكوت الله بإعلانه العد العكسي لقيامه، وتحميله الناس مفاهيم هذا الأمر الخطير الذي سيحضره هو والأجيال من ذريّة المخاطبين.

ويقول القدّيس متّىٰ في انجيله: وضرب لهم مثلاً آخر قال:

«مثل ملكوت السموات كمثل رجل زرع زرعاً طيّباً في حقله، وبينما الناس نائمون جاء عدوّه فزرع بعده بين القمح زؤاناً[٢] وانصرف.

فلما نمىٰ النبت وأخرج سنبله ظهر معه الزؤان فجاء رب البيت خدمه وقالوا له: يا رب ألم تزرع زرعاً طيّباً في حقلك فمن أين جاءه الزؤان؟!.

فقال لهم: أحد الأعداء فعل ذلك.

فقال لهم الخدم: أفتريد أن نذهب فنجمعه؟

فقال: لا، مخافة أن تقلعوا القمح وأنتم تجمعون الزؤان، فدعوهما ينبتان معاً إلىٰ يوم الحصاد، حتىٰ إذا أتىٰ وقت الحصاد أقول للحصادين: اجمعوا الزؤان أولاً واربطوه حزماً ليُحرق، وأما القمح فاجمعوه واتوا به

---

(١) متّىٰ: ١٣/١٩ ـ ٢٣.

(٢) النباتات المضرّة كالشوك.

إلى أهرائي[1] »[2].

ثم ترك الجموع ورجع إلى البيت فدنا منه تلاميذه وقالوا له: فسّر لنا مثل زؤان الحقل.

فأجابهم: «الذي يزرع الزرع الطيب هو ابن الإنسان، والحقل هو العالم، والزرع الطيّب بنو الملكوت، والزؤان بنو الشرير، والعدو الذي زرعه هو ابليس، والحصاد هو نهاية العالم، والحصادون هم الملائكة، فكما أن الزؤان يُجمع ويحرق في النار فكذلك تكون نهاية العالم، يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون مسبّبي العثرات والآثمة كافة فيخرجونهم من ملكوته ويقذفون بهم في أتون النار فهناك البكاء وصريف الأسنان، والصدّيقون يشعّون حينئذٍ كالشمس في ملكوت أبيهم، فمن كان له أذنان فليسمع!»[3].

احتوىٰ هذا المثال على معانٍ عدّة ورموز أيضاً، فابن الإنسان مصطلح يحتاج إلى بحث سنتطرّق إليه في الفصل قبل الأخير من الكتاب، والملائكة رمز للطاهرين من أصحابه.

ويستفاد منه أن وقت الملكوت هو آخر الزمان ـ كما تقدم ـ حيث يقول: «والحصاد هو نهاية العالم» و «يكون عند نهاية العالم».

ورقعته الجغرافية كافة الكرة الأرضية، يفهم ذلك من قوله عليه السلام: «والحقل هو العالَم».

وقد عبر السيد المسيح عليه السلام عن «ملكوت الله» بقوله: «ملكوت أبيهم» أي الصدّيقين، وهنا نسبهم إلىٰ الله عز وجل لا نسبة ولادة ونسب، بل نسبة تربية وتكريم، فممن يُطلق عليهم لفظ الأب هو المربّي،

---

(١) أهرائي أي مستودعاتي.
(٢) متّىٰ: ١٣/ ٢٤ ـ ٣٠.
(٣) متّىٰ: ١٣/ ٣٦ ـ ٤٣.

وقد ورد في مصادرنا الإسلامية أنّ الآباء ثلاثة: أب ولدك، وأب علّمك، وأب زوّجك.

وهذا التعبير كان شائعاً في زمن السيد المسيح عليه السلام، وقد استعمله كثيراً مع تلاميذه والمؤمنين، فقال لهم مرّة بعد أن أوصاهم بالمحبة: «لتصيروا بني أبيكم الذي في السماوات... فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم السماوي كامل»[1].

وقال لهم: «.. وأبوكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلىٰ هذا كلّه»[2].

وقال أيضاً: «.. فما أولىٰ أباكم الذي في السماوات بأن يُعطي ما هو صالح للذين يسألونه»[3].

وفي موضع آخر: «.. وأقرضوا غير راجين عوضاً فيكون أجرُكم عظيماً وتكونوا أبناء العلي، لأنه هو يلطف بناكري الجميل والأشرار»[4].

وهم أيضاً أطلقوه عليه وقالوا: «ابن الله» ولم يريدوا أنه ابن مادي ولادي، بل ابن تربوي وتكريمي هذا على فرض عدم التحريف في نصوص الأناجيل الحالية.

وتأكد استعمال هذا المصطلح له باعتبار أنه ولد من غير أب فنسب إلىٰ الله عز وجل تكريماً كما أطلق على آدم عليه السلام أنه «ابن الله»[5] لأن الله عز وجل خلقه مباشرة من غير أب وأم.

وهذا خلاف ما يتداوله المسيحيون من اعتبار السيد المسيح ابن

---

(١) متّىٰ: ٥/ ٤٥ و ٤٨.
(٢) متّىٰ: ٦/ ٣٢.
(٣) متّىٰ: ٧/ ١١.
(٤) لوقا: ٦/ ٣٥.
(٥) راجع لوقا: ٣/ ٣٨.

ولادي لله ـ عز وجل عن ذلك ـ فأعطوه صفة الألوهية، ونسجوا مفاهيم تؤيد قولهم هذا مما لم يرد في كلام السيد المسيح ولا الأناجيل!

وضرب لهم مثلاً آخر فقال:

«مثل ملكوت الله كمثل رجلٍ يُلقي البذر في الأرض فسواءً نام أو قام ليلَ نهار فالبذر ينبت وينمو، وهو لا يدري كيف يكون ذلك، فالأرض من نفسها تُخرج العشب أوّلاً، ثم السنبل، ثم القمح الذي يملأ السنبل، فما أن يُدرك الثمر حتىٰ يعمل فيه المنجل، لأن الحصاد قد حان»[1].

إنها آخر عملية تربوية للنسل البشري، حيث تُلقىٰ بذور الصلاح، فمن كانت أرضه خصبة فستنبت فيها ويستحق بذلك البقاء في دولة الله في الأرض، وأما من لا ينفعه شيء ويصرّ على انحرافه فسيُستأصل من الجسم البشري، وهذه العملية بدأت بمرحلتها النهائية على يد السيد المسيح عليه السلام كمقدمات تأريخيّة لليوم الموعود.

والبذور مهما كانت صغيرة فإنها ستكبر وتثمر، يقول السيد المسيح عليه السلام:

«بماذا نشبّه ملكوت الله، أو بأي مثل نمثّله؟ إنه مثل حبّة خردل، فهي حين تزرع في الأرض أصغر سائر البزور التي في الأرض، فإذا زرعت ارتفعت وصارت أكبر البقول كلّها، وأرسلت أغصاناً كبيرة، حتىٰ أن طيور السماء تستطيع أن تعشعش في ظلّها»[2].

هكذا هم أهل الإيمان في التاريخ، لم يكونوا كثرة أبداً، لأن الإيمان مرتبة وصفة لا ينالها إلا الخواص من الناس، وما أقلّهم في كل زمان، وعلى الأخص في الأزمنة الأولىٰ!

فالإيمان وأهله كالبذرة الصغيرة أُلقيت في أوائل التاريخ وأخذت تنمو

---

(١) مرقس: ٤/٢٦ ـ ٢٩.
(٢) مرقس: ٤/٣٠ ـ ٣٢.

ببطء حتىٰ إذا جاء الوقت المعيّن وظهر ملكوت الله وحكمه في الأرض وجدناها شجرة مباركة لها ظلّ وارف على رؤوس البشرية، بل وحتىٰ طيور السماء وسكّانها تأوي إليها.

دولة المهدي والمسيح
عليهما السلام

هل من الصدفة أن ينتظر المسيحيّون عودة السيد المسيح لإقامة «ملكوت الله» في الأرض وينتظر المسلمون ظهور الإمام المهدي لإقامة «حكم الله» في الأرض دون أن يكون بين الأمرين ارتباط؟! هل هما دولتان أم دولة واحدة؟

إن «ملكوت الله» هو حكم ديني إلهي يشمل الأرض كلها، و «دولة الإمام المهدي» هي حكم ديني إلهي يشمل المعمورة كلها.

«ملكوت الله» وعد به السيد المسيح أنصاره في آخر الزمان عند النهاية، و «دولة الإمام المهدي» تكون في آخر الزمان أيضاً.

«ملكوت الله» ستطبق فيه مشيئة الله وأحكامه في الأرض كما هي في السماء، و «دولة الإمام المهدي» ستطبق فيها أحكام الله في الأرض.

«ملكوت الله» يطبق فيه العدل، و «دولة الإمام المهدي» تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

«ملكوت الله» للأبرار والمضطهدين والفقراء، و «دولة الإمام المهدي» للصالحين والمستضعفين والمحرومين.

«ملكوت الله» سوف لا يدخله إلا المؤمنون والأتقياء، و «دولة الإمام المهدي» دولة المؤمنين والأتقياء.

«ملكوت الله» سيُعاقب فيه الفجّار والمجرمون ويقتلعون من المجتمع كما يقتلع الشوك من الحقل، و «دولة الإمام المهدي» تجري فيها عملية التطهير ثمانية أشهر.

«ملكوت الله» له علائم للظهور، وللإمام المهدي علائم للظهور تشبه علائم ظهور ملكوت الله، وسنذكر ذلك مفصلاً.

فهما دولة واحدة تمتد من الشرق إلىٰ الغرب، ومن الشمال إلىٰ الجنوب، لتشمل الكرة الأرضية بأسرها، وتكون خاتمة المسيرة البشرية، وثمرة جهود الأنبياء والأديان السماويّة.

وسيكون للإمام المهدي وللسيد المسيح عليهما السلام دور مشترك في إقامتها، وذلك لأن أكثر سكان العالم هم المسيحيون والمسلمون، وسوف يتعاون الاثنان في إصلاح المجتمع البشري وفق برامج الدين الإلهي.

ولأهمية هذا الدور المشترك ورد ذكر له في النصوص الإسلامية بوضوح وصراحة وفي نصوص السيد المسيح بشكل رمزي وذلك لاختلاف المرحلتين تاريخيّاً.

ففي النصوص الإسلامية ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟»[1].

وقال أيضاً:

«والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٢٠٥ والترمذي ٣: ٣٤٤ وابن ماجة ٢: ١٣٦٣.

وعدلاً . . .»[1] .

سيحكم في ما يُختلف فيه بين المسلمين والمسيحيين.

وقال في حديث ذكر فيه الدجّال[2] :

«فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جُمان كاللؤلؤ . .».

إنه وصف مفصّل لنزوله من السماء، وسيعرفه المسيحيون والمسلمون.

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً :

«ليس بيني وبينه ـ يعني عيسىٰ عليه السلام ـ نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلىٰ الحمرة والبياض بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل . . .»[3] .

ثم يذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله ما يقوم به من أعمال في «ملكوت الله» عز وجل سنأتي على ذكرها.

هذا بعض ما ورد في المصادر الإسلامية عن السيد المسيح عليه السلام ونزوله في آخر الزمان مع الإمام المهدي في دولتهما.

أما ما ورد عن السيد المسيح عليه السلام حول الإمام المهدي وظهوره في آخر الزمان وحكمه فقد ورد بشكل واسع إلا أنه رمزي، وذلك لعدم تحمّل أصحابه فهم الموضوع مبكراً، وهذا على خلاف ما ورد صريحاً حول السيد المسيح على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله فإن دركه كان أمراً يسيراً للمسلمين بعد معرفتهم به.

---

(١) صحيح البخاري ٤ : ٢٠٥.
(٢) شخصية منحرفة ورد ذكرها في حوادث آخر الزمان المتوقعة.
(٣) سنن ابن داود ٢ : ٤٣٢.

وهذه الرمزية في كلام السيد المسيح وكتمانه التفاصيل في أمورٍ كثيرة منها هذا الموضوع المهم ذكرها لتلاميذه وقال:

«لا يزال عندي أشياء كثيرة أقولها لكم ولكنكم لا تطيقون الآن حملها»[1] .

وهو أمر طبيعي، فإنهم لا ينظرون إلىٰ أمور مستقبلية لم تحدث بعد، وعلى الأخص ما يتعلّق بمراحل متطورة من المسيرة البشرية، فلا الإسلام جاء بعد، ولا النبي محمد صلى الله عليه وآله بُعث، ولم يولد الإمام المهدي ولم تعرف فكرة الإمامة، فكيف بالسيد المسيح إذا أراد أن يخبرهم عن كل ذلك وهم لا زال أفق تفكيرهم ضيّقاً.

ومما أشار به السيد المسيح عليه السلام في إحدىٰ كلماته إلىٰ وجود الإمام المهدي قائداً لدولة الله العالمية وبكل وضوح قوله: «أنا لا أطلب مجدي، فهناك من يطلبه ويحكم»[2] .

إن مجده سوف لا يطلبه هو، ولا يسعىٰ لقيامه، بل هناك مَن يطلبه ويحكم، فمن هو إذاً؟

لا أحد يستطيع الإجابة على هذا السؤال إلا المسلمون الذين ينتظرون ظهور قائد إسلامي عالمي معيّن في آخر الزمان هو الإمام المهدي من ذريّة فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله.

وليس هناك أي تناقض بين المسيحية والإسلام في هذا الأمر، بل إن الاثنين ينتظران قائدين إلهيّين سيتعاونان في إقامة حكم الله في الأرض.

وكما ذكرنا أن علّة هذا الاشتراك هو أن أغلب سكان الكرة الأرضية في آخر الزمان هم من المسيحيين والمسلمين، فقدّر الله عز وجل أن يرفع السيد المسيح عليه السلام إليه في السماء ليحفظه إلىٰ اليوم الموعود،

---

(١) يوحنا: ١٦/ ١٢.

(٢) يوحنا: ٨/ ٥٠.

وكذلك أخفىٰ وليّه الأعظم الإمام المهدي في الأرض ـ فهو موجود ولا يُعرف مَن هو ـ إلىٰ ذلك اليوم، وهما مدّخران إلىٰ مهمة إلٰهيّة كُبرىٰ قادمة.

وقد يخطىء البعض فيتصوّر أن المسيحية تخالف الإسلام في الأحكام والعقائد، وبالتالي كيف يمكن إدارة هذه الدولة المنتظرة من قبل قائد إسلامي وآخر مسيحي؟!.

إننا لو سألنا عن مصدر الدين المسيحي ومصدر الدين الإسلامي لكانت الإجابة أنهما من الله عز وجل، فإذاً كيف يمكن تصوّر وجود اختلاف بينهما على نحو التعارض والتضاد وليس على نحو السعة والاختصار؟!.

إن الأديان السماوية متحدة في عقائدها وأحكامها إلا من حيث بعض الجزئيات التي راعىٰ الله عز وجل فيها التطور الإنساني، وتوسع مشاكله وحاجاته خلال التاريخ، فأنزل لهم من الدين ما يحتاجون وما يتحمّلون، كالأب الذي يتدرّج في تربية أولاده الصغار حتى يكبروا، أما ما نشاهده من اختلافات بين أصحاب الأديان السماوية حالياً ـ كما ذكرنا في موضع آخر ـ فهو ناشىء من أمرين:

الأول: بعد العهد عن بعثة أنبيائهم، وضياع بعض ما جاؤوا به أو إساءة فهمه.

ثانياً: حصول عمليات التحريف المتعمّد وغير المتعمّد، فإن بعض رجال الدين كان يصوغ أو يعيد صياغة نصوص دينه وفق ما يتوصل إليه من فهم جديد، أو يتعمد تغييره لبعض المصالح الشخصيّة.

ولو لاحظنا العمود الفقري للنصوص الدينيّة لوجدناها متفقة في كثير من الأمور العقائدية والأحكام العبادية والاجتماعية المهمة، ولا نجد إلا الفرق ـ كما قلنا ـ بالإيجاز والتفصيل، أو ما نشأ من سوء فهم أو تحريف متعمّد.

وعلى سبيل المثال، ما أشرنا إليه من أن وصف السيد المسيح عليه

السلام بأنه «ابن الله» أخذ لدىٰ المسيحيين عبر قرون متمادية، وبالأخص منذ طرحه من قبل الرسول «بولس» الذي هو ليس من حواريي عيسىٰ بصيغته النَسَبيّة، فقد ورد: وأقام (أي بولس) بضعة أيامٍ مع التلاميذ الذين في دمشق فأخذ لوقته ينادي في المجامع بأن يسوع هو ابن الله[1].

وجاء في تعليق الرهبانية اليسوعية: يُنسب استعمال هذا اللقب إلىٰ بولس، وقد استعمله كثيراً في رسائله[2].

في حين أن الأدلة المستخرجة من نفس الإنجيل تؤكد أن هذه النسبة استعملت في زمان السيد المسيح بمعناها التربوي والتكريمي وليس النَسَبي، وبهذا الفهم الصحيح للمصطلح تُحل أكبر عقدة قائمة بين عقائد المسلمين والمسيحيين.

ويمكن القول أن من أهم أهداف رفع السيد المسيح عليه السلام إلى السماء ونزوله عند قيام دولة الله في آخر الزمان هو حل هذه المشاكل العالقة بين أتباع أكبر ديانتين سماويتين وهما المسيحيّة والإسلام.

هذا مع غض النظر عما تقوله العقيدة الإسلامية من أن كل دين جديد يأتي مكملاً للدين الذي قبله، وبالتالي لاغياً له، وعلىٰ البشرية اتباع النبي الجديد والدين الجديد.

ولا يعني ذلك أن هناك تعارضاً أو تضاداً وإنما هي منطقيّة تحكم بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وبالتالي فإن الدين الذي سيطبق في مملكة الله آخر الزمان هو دين واحد أنزله إلٰه واحد وهو الدين الإسلامي، والذي سيقود العملية هو شخص غير السيد المسيح عليه السلام وهو الإمام المهدي إلا أنه سيشاركه فيها وينزل من السماء لذلك.

---

(١) أعمال الرسل: ١٩/٩ و ٢٠.

(٢) طبعة بيروت: الصفحة: ٣٩٨.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تبقىٰ قرية إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بكرةً وعشياً»[1].

وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالىٰ: **﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾** قال: لا يكون ذلك حتىٰ لا يبقىٰ يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملّة إلا دخل في الإسلام[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية قال: ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف ويكون الدين كله واحداً كما قال جل ذكره: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**[3]، وقال الله: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[4].

وما سيقوم به السيد المسيح عليه السلام هو دعوة المسيحيين إلىٰ الإسلام، وتحطيم رموز الانحراف الذي حلّ فيهم، وقد وردت الإشارة إلىٰ ذلك.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية..»[5].

إنه سيكسر الصليب لأن اليهود لم يصلبوه على الحقيقة كما قال القرآن الكريم: **﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم﴾**[6].

وقد نسج البعض عبر التاريخ مفاهيم وتصورات وعقائد تستند إلىٰ

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٥٩/٦٠ عن كنز الفوائد.
(٢) بحار الأنوار ٥١: ٥٩/٦١ عن كنز الفوائد.
(٣) سورة آل عمران: ١٩.
(٤) سورة آل عمران: ٨٥.
(٥) البخاري ٤: ٢٠٥.
(٦) سورة النساء: ١٥٧.

عملية الصلب هذه المزعومة.

وسيقتل الخنزير لأن أكله محرّم في الإسلام، وهذه إشارة إلى دعوة السيد المسيح إلىٰ اتّباع الأحكام الإسلامية لأن الإسلام هو الدين الإلهي المقرّر للبشر.

ويضع الجزية أي يلغي مسألة أهل الذمة، حيث في الإسلام والمجتمع الإسلامي يُعامل المسيحيون وأهل الكتاب معاملة خاصة، منها دفعهم ضريبة الجزية باعتبارهم ينتفعون بخدمات الدولة الإسلامية ولا يدفعون ضريبة الخمس والزكاة كما يفعل المسلمون.

ورفع الجزية يعني توحيد الجميع على الدين الإسلامي بالهداية وكشف الحقائق من قبل الإمام المهدي والسيد المسيح عليهما السلام فلا يبقىٰ عذر لأحد في البقاء على غير الإسلام.

يقول النبي صلى الله عليه وآله كما مرّ:

«ليس بيني وبينه ـ يعني عيسىٰ عليه السلام ـ نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلىٰ الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدقّ الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجّال[1]، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يُتوفىٰ فيصلي عليه المسلمون»[2].

وقتاله على الإسلام إشارة إلى طلبه من أتباعه اعتناق الإسلام، وبعد قيام الحجة الكاملة التامة عليهم في ذلك سوف يحارب كل من لا يقبل أمره باتباع الإسلام.

إن استعمال الشدّة في الحق سيكون في آخر المطاف، لأن آخر الدواء

---

(١) لعله الحضارة المادية الحالية التي ترفع شعار المسيح دجلاً.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٤٣٢.

الكي، فلا مجال لتعثّر المسيرة البشرية نحو الله على الطريق المشؤوم ببقاء من يعاند الحق ويصرّ على الضلال.

قال الإمام أبو الحسن عليه السلام في قوله تعالى: **﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾**[1] قال: «أنزلت في القائم عليه السلام، إذا خرج باليهود والنصارىٰ والصابئين والزنادقة وأهل الردّة والكفّار في شرق الأرض وغربها فعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويجب لله عَليه، ومن لم يُسلم ضرب عنقه، حتىٰ لا يبقىٰ في المشارق والمغارب أحد إلا وحّد الله..»[2].

هذا وقد أشار السيد المسيح عليه السلام في أقواله وخطبه إلىٰ الإمام المهدي ـ بالإضافة إلىٰ تبشيره بالنبي صلى الله عليه وآله ـ، ولم يكن يستطيع التصريح بالاسم كاملاً مرحليّاً، فاستعمل مصطلحاً عبريّاً تُرجم بـ: «ابن الإنسان».

---

(١) سورة آل عمران: ٨٣.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٩٠/٣٤٠ عن تفسير العياشي.

ابن الإنسان

ورد هذا الاصطلاح على لسان السيد المسيح عليه السلام كثيراً، وتقول الرهبانية اليسوعية: إذا استثني رسل (٧/٥٦) ورؤى (١/١٣) و (١٤/١٤) لا ترد عبارة «ابن الإنسان» إلا في الإنجيل وعلى لسان يسوع[١].

أما من هو ابن الإنسان، هل هو المسيح نفسه أم شخص آخر؟

تقول الرهبانية اليسوعية: وجدت فيها الجماعة المسيحية الأولىٰ إحدىٰ العبارات المميّزة ليسوع الناصري، ففضّلتها على سائر الألقاب التي أطلقتها عليه[٢].

لقد فهم المسيحيون الأوائل هذا المصطلح بأنه السيد المسيح نفسه، وانعكس فهمهم له في كتابة الأناجيل من قبل تلاميذه، وهي الأناجيل الأربعة القانونية التي أقرّتها الكنيسة، وهي انجيل متّىٰ وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنّا.

ولكن بملاحظة موارد ذكر هذا المصطلح في الأناجيل الأربعة

---

(١) العهد الجديد: ص ٥٨ الهامش ١٥. طبعة بيروت ١٩٨٩ ـ دار المشرق.

(٢) نفس المصدر.

المذكورة نجد أن هناك إشارة واضحة إلىٰ شخص آخر في كثيرٍ منها، وهذا الشخص هو الذي سيطلب مجد المسيح ويحكم كما قال عليه السلام:

«أنا لا أطلب مجدي فهناك من يطلبه ويحكم»[1].

إنه شخص آخر يقوم بعملية إنشاء المجد الإلهي والحكم الرباني في الأرض، وكما قلنا هو الإمام المهدي عليه السلام الذي ينتظر المسلمون ظهوره وإقامته حكومة إلهية عالمية ينزل السيد المسيح ليشارك في إنجاحها، ولم يدّعِ أحد من غير المسلمين انتظار مصلح إلهي عظيم بالمواصفات والوضوح الوارد عند المسلمين، مما يجعل الاتحاد بينه وبين الذي أشار إليه السيد المسيح واضحاً.

وكما ذكرنا جاء مصطلح «ابن الإنسان» في موارد عديدة في الإنجيل ينطبق بعضها على السيد المسيح، ولكن لا يمكن الجزم بذلك لأن التعبير عنه بهذا الاصطلاح ربما نشأ من فهم صاحب الإنجيل لمراد السيد المسيح من «ابن الإنسان» فانعكس على كتابه، أما في موارد كثيرة أخرىٰ يظهر أن المراد منه شخص آخر له أهمية كبرىٰ في ملكوت الله.

وحديث السيد المسيح عن شخص آخر أسماه «ابن الإنسان» كان واضحاً لتلاميذه، ولم يفهموا منه أنه هو، وكان غامضاً عند الناس، ومع ذلك لم يحتملوا أنه السيد المسيح نفسه كما يظهر ذلك من الحوار التالي بينه وبين تلاميذه:

يقول القديس متّىٰ في انجيله: ولما وصل يسوع إلىٰ نواحي قيصريّة فيلبُّس سأل تلاميذه: «مَن ابن الإنسان في قول الناس؟».

فقالوا: بعضهم يقول: هو يوحنّا المعمدان، وبعضهم الآخر يقول: هو ايليا، وغيرهم يقول: هو ارميا، أو أحد الأنبياء.

ولم يرد للناس قول بأنه السيد المسيح عليه السلام نفسه، بل هو

---

(١) يوحنا: ٨/ ٥٠.

إنسان آخر بلا شك.

أمّا عند التلاميذ:

فقال لهم بعد أن سمع جوابهم السابق: «ومن أنا في قولكم أنتم؟».

فأجاب سمعان بطرس: أنت المسيح ابن الله[1] الحي.

ونلاحظ أنه لم يقل له: أنت ابن الإنسان، كما يقتضيه سياق الحوار، بل كان واضحاً لديه أنه ليس هو وإنما هو المسيح، ولذا مدحه وقال له:

«طوبىٰ لك يا سمعان بن يونا، فليس اللحم والدم كشفا لك هذا بل أبي (أي ربّي) الذي في السموات».

إنها هداية الله أن يعرف الإنسان أولياءه وأنبياءه، وتتضح له الأمور في مَن يتبع فلا يخلط بينها.

وبعد هذا الحوار أخذ السيد المسيح يحدثهم عما سيقع له مع اليهود، يقول القديس متّىٰ: وبدأ يسوع من ذلك الحين يُظهر لتلاميذه أنه يجب عليه أن يذهب إلىٰ أورشليم ويعاني آلاماً شديدة من الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة...

ثم دعاهم لاتّباعه والتعرّض للبلاء إذا شاؤوا، وختم حديثه بالقول لهم:

«سوف يأتي ابن الإنسان في مجد أبيه (أي ربّه) ومعه ملائكته فيجازي يومئذٍ كل امرىءٍ على قدر أعماله».

إنه إنسان آخر غير السيد المسيح قطعاً ولو كان يريد نفسه لقال: «سوف آتي في مجد أبي..» وبالأخص كانت بداية الحوار تتعرض لهذا الموضوع بشكل مباشر، فابن الإنسان شخص آخر يستلم السلطة الإلهية على الأرض، يعينه الصالحون المُعبّر عنهم بالملائكة، إضافة إلىٰ إسناد نفس الملائكة له كما ورد في مصادرنا الإسلامية.

---

(١) كما ذكرنا هو ابن الله تكريماً وتربوياً وليس ولادةً ونسباً.

ثم يضيف السيد المسيح قائلاً:

«الحق أقول لكم: من الحاضرين هٰهُنا من لا يذوقون الموت حتىٰ يشاهدوا ابن الإنسان آتياً في ملكوته»[1].

إنه يقول لهم الحق الذي لا مرية فيه ولا تراجع، فمن الحاضرين ـ أي هو وتلاميذه ـ من لا يذوقون الموت حتىٰ يشاهدوا ابن الإنسان آتياً في حكمه.

ولم يدّعِ أحدٌ، ولم يُنقل أن من تلاميذه مَن كُتب له البقاء من بعده حتىٰ قيام ملكَوت الله، والمتفق عليه عند المسيحيّين والمسلمين بقاؤه هو عليه السلام في السماء لحين ظهور ملكوت الله ونزوله للمشاركة فيه، فيكون هو المقصود بمن سيبقىٰ.

فإذا كان هو الوحيد من الحاضرين الذي سيشاهد ابن الإنسان فهل ابن الإنسان هو السيد المسيح نفسه!!

لقد كان عيسىٰ عليه السلام دقيقاً في العبارة فلم يقل لهم: «منكم من لا يذوقون الموت حتىٰ يشاهدوا ابن الإنسان آتياً في ملكوته» بل قال لهم: «من الحاضرين هٰهنا من لا يذوقون. . .».

وهي إشارة واضحة إلىٰ أنه يريد نفسه، وهو غير ابن الإنسان، بل سيعيش ولا يذوق الموت حتىٰ يراه آتياً في ملكوته.

أما استعمال لفظ الجمع في «يذوقون» فعلىٰ فرض صحة النقل وصحة الترجمة يمكن أن يراد به التعظيم أو الإبهام في العرض بدل التصريح مرحلياً.

أما الرهبانية اليسوعية[2] فقد وقفت حائرة أمام هذا النص فقالت:

---

(١) متّىٰ: ١٦/١٣ ـ ٢٨.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد: ص ٨٤، ط بيروت ١٩٨٩.

«يفترض هذا الكلام بوضوح أن بعض معاصري يسوع لن يموتوا قبل ظهور ابن الإنسان في مجده».

إنه افتراض، فالواقع لم يؤيد ذلك على تفسيرهم، وحاشا للسيد المسيح أن يقول ما يخالف الواقع.

ثم تقول: «ومن الصعب تحديد زمن ذلك الظهور بدقّة، فلقد فكّر بعضهم بخراب أورشليم، وبعضهم بترائيات القائم من الأموات، وبعضهم بالتجلّي».

لقد وضعت هذه الاحتمالات لتعالج الموقف مع النص فتكون المدة مقبولة في بقاء بعض الحاضرين إلىٰ تاريخ حدوث هذه الأمور، ولكن هذا مخالف لنصوص الإنجيل ولكلام السيد المسيح، فقد ذكر لمجيء ابن الإنسان في النهاية علامات كثيرة ـ سنأتي على ذكرها ـ من الحروب والزلازل وعلامات في الشمس والقمر والنجوم، وظهور المتنبئين، وغير ذلك من الأمور التي لم تحصل في أي من الحوادث التي أوردوها.

إضافة إلىٰ أن عبارة السيد المسيح تحوي في طيّاتها التلميح ببُعد المسافة الزمنية بينه وبين مجيء ابن الإنسان مما اقتضىٰ قوله: «من لا يذوقون الموت حتىٰ يشاهدوا ابن الإنسان» فلو كان ذلك بالعمر الطبيعي للإنسان لما استحق الذكر والتقديم له بأنه القول الحق!

فإذاً المراد من «ابن الإنسان» شخص آخر سيبقىٰ السيد المسيح عليه السلام حياً حتىٰ يلقاه.

ويستفاد أيضاً من هذه الجملة عدم موت عيسىٰ حقيقة في مسألة صلبه حيث قال: «لا يذوقون الموت»، كما نص القرآن الكريم على ذلك بقوله: **﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم﴾**[1].

ولما أُلقي القبض على السيد المسيح من قبل كهنة اليهود وأُقيمت له

---

(١) سورة النساء: ١٥٧.

المحكمة سأله عظيم الكهنة: أأنت المسيح ابن المبارك؟

فقال: «أنا هو، وسوف ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدير (أي الله عز وجل) وآتياً في غمام السماء»[1].

فهل من شك مع هذا النص في أن ابن الإنسان هو غير السيد المسيح، فالإثنينيّة واضحة في عبارته، إنه الإمام المهدي الذي سيحكم بأمر الله وقدرته، ويأتي في غمام السماء، وهي إشارة إلىٰ مبلغ قدرته في دولته ولعلها الطائرة أو ما شابهها.

وقد أشار السيد المسيح في جوابه لرئيس الكهنة هذا إلىٰ عبارة نبي الله دانيال عن ابن الإنسان التي يعرفها اليهود حيث يقول:

«كنت أنظر في رؤياي ليلاً فإذا بمثل ابن إنسان آتٍ على غمام السماء.. وأوتي سلطاناً ومجداً ومُلكاً فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه (أي يطيعونه) وسلطانه سلطان أبدي لا يزول وملكه لا ينقرض»[2].

إن ابن الإنسان قائد إلهي يؤتيه الله السلطة والقدرة، وتدوم دولته ومملكته إلىٰ يوم القيامة، أي لا تنقرض في ما يبقىٰ من التاريخ الإنساني على وجه الأرض، وهذا كله ينطبق على ما ورد في مصادرنا الإسلامية عن الإمام المهدي جاء على لسان نبي الله دانيال وقد استشهد به السيد المسيح في المحكمة.

وجاء أيضاً في انجيل مرقس من ضمن هذا الموقف:

«لأنَّ من يستحيي بي وبكلامي في هذا الجيل الخاطىء يستحيي به ابن الإنسان متّىٰ جاء في مجد أبيه (أي ربّه) ومعه الملائكة الأطهار»[3].

---

(١) مرقس: ١٤/ ٦١ و ٦٢، ومتّىٰ: ٢٦/ ٦٤.
(٢) سفر دانيال: ٧/ ١٣ و ١٤.
(٣) مرقس: ٨/ ٣٨.

لم يقل لهم: «أستحيي به متّىٰ جئت في مجد أبي» بل «يستحيي به ابن الإنسان متّىٰ جاء في مجد أبيه».

إنه الإمام المهدي عليه السلام الذي سيعاقب كل من يستهين بالأديان السماوية وبالأنبياء ومنهم السيد المسيح وكلامه.

علائم ظهور المهدي
ونزول المسيح

بعد أن اتضح لنا أن بشارة السيد المسيح عليه السلام هي البشارة بقيام دولة الحق في آخر الزمان، وأن رائدها الأول هو الإمام المهدي، وسيشاركه السيد المسيح في هدايته للبشرية، نعرض لبعض ما ورد في الأناجيل الأربعة من كلام السيد المسيح حول علائم هذا الظهور والقيام، مقارنين ذلك بما ورد في المصادر الإسلامية.

يقول القديس متّىٰ في انجيله: وخرج يسوع من الهيكل فدنا إليه تلاميذه وهو سائر يستوقفون نظره على أبنية الهيكل فأجابهم:
«أترون هذا كلّه! الحق أقول لكم: لن يُترك هنا حجر على حجر من غير أن يُنقض».

وبينما هو جالس في جبل الزيتون دنا منه تلاميذه فانفردوا به وسألوه: قل لنا متىٰ تكون هذه الأمور؟ وما علامة مجيئك ونهاية العالم؟[1] .

لقد كان الحديث الذي يسمعه التلاميذ من السيد المسيح وباستمرار

---

(١) متّىٰ: ٢٤/١ ـ ٣.

هو مجيئه في نهاية العالم وعلائم هذا المجيء، وقد كانت العبارة هنا أدق في الأصل اليوناني، حيث كتبت الرهبانية اليسوعية تعليقاً على كلمة «مجيئك» تقول: تدل الكلمة اليونانية على مجيء ابن الإنسان[1].

إنه الموضوع المهم الذي كان يعيشه السيد المسيح عليه السلام ويُبشّر به، فذكر له علامة هنا وهي خراب الهيكل، وقد حدث ذلك في التاريخ.

ثم لنرَ ما أجابهم حول علائم البشارة في آخر الزمان برواية القديس متّىٰ[2]:

فأجابهم يسوع: «إياكم أن يضلّكم أحد! فسوف يأتي كثير من الناس منتحلين اسمي يقولون: أنا هو المسيح، ويُضلّون أناساً كثيرين».

إن التضليل باسم السيد المسيح كان بعد ارتفاع السيد المسيح إلىٰ السماء ولا يزال إلىٰ اليوم في ربوع البشرية، وهو ما حذّر عنه السيد المسيح بشدّة، وأعمال الكنيسة في العصور الوسطىٰ أكبر مثال على ذلك، وكم من مدّعٍ أنه على خُطىٰ السيد المسيح عليه السلام أو أنه تراءىٰ له وحمّله التعاليم من دون دليل!

ثم قال لتلاميذه: «وستسمعون بالحروب وبإشاعات عن الحروب فإياكم أن تفزعوا فلا بد من حدوثها».

لقد أخبر السيد المسيح عليه السلام تلاميذه عن حروب كثيرة ستحدث قبل «المجيء» وقبل قيام ملكوت الله، وهي مما لا بدّ من حدوثه لأن فيها تحرّك المجتمع البشري نحو الخلاص، والإحساس بالحاجة إلىٰ الخلاص، فيأتي يوم الخلاص.

وهذه الحروب ليست الحرب الكبيرة التي يكون الظهور على أثرها، بل هي حروب إقليمية أو عالمية أولىٰ أو ثانية ينتج عنها احتلالات

---

(١) طبعة الرهبانية اليسوعية (١٩٨٨) ص ١٠٢(٣ متّىٰ.
(٢) متّىٰ: ٢٤/ ٤ ـ ٢٥/ ٤٦.

واستعمار.

يقول السيد المسيح: «ولكن لا تكون النهاية عندئذ. فستقوم أمّةٌ على أمّة، ومملكة على مملكة».

ثم يقول: «وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة وهذا كلّه بدء المخاض».

أي أنه في المرحلة الأخيرة التي تسبق ظهور ملكوت الله، لأن المخاض ينتهي بالولادة.

وهنا نطالع ما ورد في المصادر الإسلامية، حيث روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لا يقوم القائم عليه السلام (أي الإمام المهدي) إلا على خوف شديد وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس»[(١)].

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال: «أبشروا بالمهدي يخرج على حين اختلاف من الناس وزلزال شديد»[(٢)].

ثم كرّر السيد المسيح تحذيره للمؤمنين من مدّعي النبوة فقال:
«ويظهر كثير من الأنبياء الكذابين ويضلّون أناساً كثيرين».

تقول الرهبانية اليسوعية: يشدّد متّىٰ على نشاط «المسحاء الدجالين» وقد ألقوا البلبلة في الكنيسة منذ أواخر القرن الأول[(٣)].

وقول السيد المسيح يشمل كل الدجل الممارس باسم الدين من قبل بعض أدعياء التدين، وكذلك مدّعي النبوّة عبر التاريخ، وهذا مؤيّد لما ورد في المصادر الإسلامية من أن المهدي عليه السلام لا يظهر إلا بعد أن يدّعي النبوّة ستون كذّاباً كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا تقوم الساعة حتىٰ يخرج نحو من ستين كذاباً كلهم يقولون: أنا

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٩٩/٣٤٨ عن غيبة النعماني.
(٢) بحار الأنوار ٥١: ٢٤/٧٤ عن غيبة الطوسي.
(٣) طبعة الرهبانية اليسوعية (١٩٨٨) ص ١٠٣ متّىٰ.

نبي»[1].

ثم يضيف السيد المسيح قائلاً: «ويزداد الإثم، فتفتر المحبة في أكثر الناس».

انحراف عام عن الدين الإلهي، وعن الأحكام السماوية والأخلاق، وانتشار الظلم والفساد، وهو ما أكدته أخبارنا الإسلامية عن مرحلة ما قبل دولة الإمام المهدي الإلهية.

ففي الحديث القدسي عن الله عز وجل أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله عن ظهور الإمام المهدي عليه السلام: «يكون ذلك إذا... كثر الجور والفساد، وظهر المنكر..»[2].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «المهدي يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق نبيّاً لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتىٰ يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسىٰ بن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»[3].

ثم يقول السيد المسيح عليه السلام: «والذي يثبت إلىٰ النهاية فذاك الذي يخلص».

الثبات على الدين وعلى الحق هو السبيل إلىٰ النجاة، ومن يتخطىٰ الامتحانات والابتلاءات ويبقىٰ صامداً إلىٰ النهاية فذاك هو الفائز المخلص.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وكذلك أنتم تميّزون حتىٰ لا يبقىٰ منكم إلا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً»[4].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠٩/٤٧ عن غيبة الطوسي.
(٢) بحار الأنوار ٥١: ٧٠/١١ عن كمال الدين.
(٣) بحار الأنوار ٥١: ٧١/١٢ عن كمال الدين.
(٤) بحار الأنوار ٥٢: ١١٦/٣٧ عن غيبة النعماني.

وعن الكاظم عليه السلام: «يخلصون كما يخلص الذهب»[1].

ويضيف السيد المسيح قائلاً: «وستعلن بشارة الملكوت هذه في المعمور كلّه شهادة لدىٰ الوثنيين أجمعين وحينئذٍ تأتي النهاية».

أي سينتشر أمر المهدي ودولته في العالم كله ليكون ذلك حجّة على المنحرفين والوثنيين، وبعد ذلك تأتي نهاية المسيرة وقيام الدولة الإلهية الموعودة، كما تشرح الرهبانية اليسوعية ذلك فتقول: أي «نهاية» التدبير الإلهي الحاضر وإقامة «ملكوت الله» على وجه نهائي.

ثم يقول السيد المسيح عليه السلام: «فإذا رأيتم المخرّب الشنيع[2] الذي تكلّم عليه النبي دانيال قائماً في المكان المقدس (ليفهم القارىء) فليهرب إلىٰ الجبال من كان عندئذ في اليهوديّة (أي القدس أو عموم فلسطين)، ومن كان على السطح فلا ينزل ليأخذ ما في بيته، ومن كان في الحقل فلا يرتدّ إلىٰ الوراء ليأخذ رداءه، الويل للحوامل والمرضعات في تلك الأيام... فستحدث عندئذ شدّة عظيمة لم يحدث مثلها منذ بدء الخليقة إلىٰ اليوم ولن يحدث».

إنها حرب كبيرة جداً تستخدم فيها أسلحة نوويّة مدمّرة لم يحدث أن استعملت منذ بدء التاريخ إلىٰ يومها، ولما ستحدثه من دمار بشري، ولقيام دولة الحق على أثرها، فلن تحدث في مستقبل تلك الأيام أيضاً.

إنها الحرب العالمية الثالثة والأخيرة ـ كما هو متوقع ـ فإنها ستكون مدمّرة يذهب فيها الكثير من سكان الكرة الأرضية ضحية الطغيان الدولي، والانحراف عن الدين والأخلاق، والابتعاد عن الله عز وجل، وعندها ستندم البشرية على ذلك، وتعرف أن خلاصها مع الدين والإيمان بعيداً عن الأنظمة الوضعيّة.

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٥/١١٥ عن غيبة النعماني.
(٢) تقول الرهبانية اليسوعية: الترجمة اللفظية «قباحة الخراب».

وهذه الحرب يجب أن لا تطول لأنها ستدمّر الجميع، بل من لطف الله عز وجل أن تكون في أيام قصيرة خاطفة، ولذا يقول السيد المسيح عليه السلام عنها: «ولو لم تقصّر تلك الأيام لما نجا أحد من البشر، ولكن من أجل المختارين ستقصّر تلك الأيام».

ستكون خاطفة لنجاة المؤمنين والصالحين.

إن هذه الحرب المدمّرة ورد لها ذكر في كتبنا الإسلامية، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنها فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «قدّام القائم عليه السلام موتان: موت أحمر وموت أبيض حتىٰ يذهب من كل سبعة خمسة، فالموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون»[2].

وعنه أيضاً: «لا يكون هذا الأمر حتىٰ يذهب ثلثا الناس»[3].

وذهاب هذا العدد الهائل لا يكون إلا بحرب عظيمة لم يكن لها مثيل.

وبعد هذه الحرب سيتوقع الناس ظهور المخلّص كلٌّ بما ورد عنده، فالمسيحيون سينتظرون نزول السيد المسيح عليه السلام، والمسلمون سيتوقعون ظهور الإمام المهدي وثورته، ولأجل ذلك ستنطلق دعوات في الأوساط المسيحية عن هبوط سرّي مزعوم له، وهو ما نبّه عليه السيد المسيح عليه السلام فقال: «فإذا قال لكم عندئذٍ أحدٌ من الناس: ها هوذا المسيح هنا، بل هنا، فلا تصدقوه، فسيظهر مسحاء دجّالون وأنبياء كذّابون يأتون بآيات عظيمة وأعاجيب حتىٰ إنّهم يضلّون المختارين أنفسهم لو أمكن الأمر، فها إنّي قد أنبأتكم».

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٨٦ عن تفسير الكشّاف.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٤٢/٢٠٧ عن كمال الدين.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٤٤/٢٠٧ عن كمال الدين.

ثم يستمر قائلاً: «فإن قيل لكم: ها هوذا في البريّة فلا تخرجوا إليها، أو: ها هوذا في المخابىء، فلا تصدقوا».

ويبدو أن هذه الادعاءات ستكون قبل ظهور الإمام المهدي وإقامته الحكومة الإلهية حيث ينزل حينها السيد المسيح بشكل علني صريح يُبلّغ له الإمام المهدي عليه السلام، فيجب أن لا تُصدّق أي دعوة لنزوله سرّاً قبل ظهور الإمام.

وقد حدثت إحدىٰ هذه الادعاءات في أواخر سنة ١٩٩٢ حيث انتشرت شائعة في سيئول عاصمة كوريا تحدّد ليلة معينة لهبوط السيد المسيح ومع اجتماع الناس الواسع في الشوارع لم يحدث شيء وليتهم التزموا بتحذير السيد المسيح عليه السلام لهم.

ثم يتحدث عن مجيء ابن الإنسان الذي هو الإمام المهدي عليه السلام فيقول:

«وكما أن البرق يخرج من المشرق ويلمع حتىٰ المغرب فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان».

لقد شبّه المسيح عليه السلام مجيء الإمام المهدي في سرعته ومباغتته بالبرق الذي يخرج من المشرق إلى المغرب بسرعة خاطفة.

وورد تشبيه مماثل عن النبي محمد صلى الله عليه وآله فقد قال: «المهدي من ولدي... تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم ثم يُقبل كالشهاب الثاقب، ويملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»[1].

إنهما نبيّان يستقيان علومهما من منبع واحد، ويتحدثان عن أمر واحد، فكيف لا يتطابق القولان!

ويضيف السيد المسيح عليه السلام قائلاً: «وعلى أثر الشدّة في تلك

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٧٢/١٣ عن كمال الدين.

الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يُرسل ضوءه».

كسوف وخسوف يسبق ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ولكن يبدو أن هذا الكسوف والخسوف ليسا عاديين فاستحقا الذكر، وهو ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلىٰ الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخره».

فقال أحدهم: يا ابن رسول الله، تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف!

فقال عليه السلام: «إني لأعلم بما تقول، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام»[1].

إن الحالة الطبيعية للكسوف والخسوف أن يكون الأول في بداية الشهر حيث القمر في المحاق فيحول بين الشمس والأرض إذا كان معهما على خط مستقيم واحد فيحجب نور الشمس وهو الكسوف، ويكون الثاني في وسط الشهر حين تكون الأرض بين القمر والشمس فتحجب نورها عن القمر إذا كانت معهما على خط مستقيم واحد فيحصل الخسوف.

أما هاتان الآيتان فستكونان على العكس قبل الظهور، فالكسوف سيكون في وسط الشهر والخسوف في آخره، بما يشير إلىٰ أنهما ليسا بتأثير الموقع للأرض والقمر، بل هناك شيء آخر سيؤدي إلىٰ نفس الحالة أي حجب ضوء الشمس ونور القمر، ولعلها سحابة دخان كثيفة ناتجة من الحرب العالمية المدمّرة التي تسبق هذا الكسوف والخسوف تقوم بهذا الدور كما يُستفاد من قول السيد المسيح: «وعلى أثر الشدّة (أي الحرب المدمّرة) في تلك الأيام تُظلم الشمس، والقمر لا يُرسل ضوءه».

فالكسوف والخسوف سيكونان على أثر هذه الشدّة أي خلفها،

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢١٣/٦٧ عن غيبة الطوسي.

أو بسببها.

ثم يقول السيد المسيح عليه السلام: «وتتساقط النجوم من السماء».

وهي الشهب حيث ستتساقط بكثرة ملحوظة في تلك الأيام.

ثم يضيف: «وتتزعزع قوّات السموات».

وهذه إشارة إلىٰ حرب جوّية، وسنشرح ذلك في نص القديس لوقا[1] الأكثر تفصيلاً في هذا الموضوع.

ويضيف السيد المسيح قائلاً: «وتظهر عندئذ في السماء آيةُ ابن الإنسان».

وهذه الآية السماوية نداء يتعلّق بالإمام المهدي، وقد ورد ذكره بوضوح أكثر في مصادرنا الإسلامية حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ينادي منادٍ من السماء باسم القائم (أي المهدي عليه السلام) فيسمع ما بين المشرق إلىٰ المغرب، فلا يبقىٰ راقد إلا قام، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه من ذلك الصوت، وهو صوت جبرائيل الروح الأمين»[2].

وعن كيفيته يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ينادي منادٍ من السماء أول النهار يسمعه كل قوم بألسنتهم»[3].

ثم يتحدث السيد المسيح عن أثر هذه الصيحة وهذه الآية السماوية فيقول: «فتنتحب جميع قبائل الأرض، وترىٰ ابن الإنسان آتياً على غمام السماء في تمام العزّة والجلال».

لقد فهم المسيحيون من هذا النص أن القادم هو السيد المسيح نفسه حيث ينزل من السماء في حين أن العبارة تناسب الإمام المهدي أيضاً،

---

(١) لوقا: ٢١.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٢/٢٩٠ عن غيبة الطوسي.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٢٧/٢٨٩ عن غيبة الطوسي.

ويؤيد ذلك مجمل كلام السيد المسيح ما قبل وبعد هذه الجملة.

فالإمام المهدي سيظهر للعالم بكل قوة وعزّة وجلال، أما وصف إتيانه على غمام السماء فيمكن تطبيقه على الطائرات التي سيستعملها الإمام المهدي عليه السلام كما جاءت الإشارة إلىٰ ذلك من قبل أكثر من ألف سنة في مصادرنا الإسلامية، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «كأني أنظر إلىٰ القائم على ظهر «النجف» ركب فرساً أدهم أبلق (أي سريع) بين عينيه شمراخ (وهو الرأس المدبب كقمة الجبل)، ثم ينتفض به فرسه فلا يبقىٰ أهل بلدة إلا وهم يظنّون أنه معهم في بلادهم».

إنه وصف واضح للطائرة التي عندما تحلّق في الفضاء يمكن رؤيتها من قبل مدن كثيرة، وكلٌّ منها يراها في سمائه.

وهذا الإخبار جاء من علم النبوة قبل أن تُصنع الطائرة بأكثر من ألف عام!

وفي رواية أخرىٰ ورد أن الإمام المهدي سينزل في «النجف» بسبع قبابٍ من نور، وهي على الأرجح طائرات أو صحون طائرة.

ثم يتحدث السيد المسيح عليه السلام لا عن نفسه بل عن ابن الإنسان وهو شخص آخر فيقول: «ويُرسل ملائكته ومعهم البوق الكبير فيجمعون الذين اختارهم من جهات الرياح الأربع، من أطراف السماوات إلى أطرافها الأخرىٰ».

هؤلاء المختارون عدّة معينة تم انتخابهم من كافة أطراف الأرض وسيحضرون بطريقة إعجازية تقوم بها الملائكة، ويُجمعون في مكة منطلق حركة الإمام المهدي، وعددهم ـ كما ورد التفصيل في مصادرنا ـ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً لا يزيدون ولا ينقصون، وسيساعدون الإمام في حكم الأرض.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «كأني أنظر إلىٰ القائم على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر، وهم

أصحاب الألوية، وهم حكّام الله في أرضه على خلقه»[1].

وعن اجتماعهم من أطراف الأرض يقول الإمام الجواد عليه السلام: «يجتمع إليه أصحابه عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض»[2].

وهؤلاء يجمعهم الله بواسطة ملائكته، يقول الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً﴾: «يعني أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً»[3].

وعنه أيضاً: «الفقداء قوم يُفقدون من فُرشهم فيُصبحون بمكة... وهم أصحاب القائم عليه السلام»[4].

فأي تطابقٍ هذا بين قول السيد المسيح عليه السلام عن أصحاب الإمام الذين يجمعهم الله من أطراف الأرض وأقوال الأئمة الهداة عليهم السلام!!

ثم يتحدث السيد المسيح عليه السلام عن انتظار دولة الحق وترقّب علائم ظهور الإمام المهدي عليه السلام فيقول: «من التينة خذوا العِبرة، فإذا لانت أغصانها ونبتت أوراقها علمتم أن الصيف قريب.

وكذلك أنتم إذا رأيتم هذه الأمور كلّها فاعلموا أن ابن الإنسان قريب على الأبواب».

لأن هذه الأمور علائم لظهور الإمام المهدي، وظهوره مع علائمه أمر حتمي في التاريخ البشري، وهو ما يقوله السيد المسيح بعد ذلك: «الحق أقول لكم: لن يزول هذا الجبل حتى تحدث هذه الأمور كلها، السماء

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٢٦/ ٤٢ عن كمال الدين.
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٣/ ١٠ عن كمال الدين.
(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٨/ ٢٦ عن الكافي.
(٤) غيبة النعماني: ١٦٩.

والأرض تزولان وكلامي لن يزول».

إنه الحق والحتم الإلهي في المسيرة البشرية على الأرض، فلو أمكن أن تزول السماء والأرض لزالتا ولكن هذا الأمر لن يزول.

ولكن متىٰ سيحدث هذا الظهور المبارك، في أي ساعة وأي يوم؟

يقول السيد المسيح عليه السلام: «فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فما من أحدٍ يعلمها، لا ملائكة السموات ولا الابن إلا الأب (أي الرب) وحده».

إن اليوم والساعة اللتين سيظهر فيهما الإمام عليه السلام لا يعلمهما إلا الله عز وجل، وهذا ما أكّده أئمتنا عليهم السلام.

يقول الإمام المهدي عليه السلام نفسه عن طريق سفيره محمد بن عثمان العمري في زمان غيبته الصغرىٰ: «أما ظهور الفرج فإنه إلىٰ الله، وكذب الوقّاتون»[1].

وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، متىٰ يخرج القائم من ذرّيتك؟

فقال عليه السلام: «مثله مثل الساعة لا يجلّيها لوقتها إلا هو، ثقلت في السموات والأرض، لا يأتيكم إلا بغتة»[2].

وأكّد السيد المسيح أيضاً على عنصر الفجأة والمباغتة في ظهور الإمام المهدي عليه السلام فقال:

«وكما كان الأمر في أيام نوح فكذلك يكون عند مجيء ابن الإنسان، فكما كان الناس في الأيام التي تقدّمت الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوّجون بناتهم إلىٰ يوم دخل نوح السفينة، وما كانوا يتوقعون شيئاً حتىٰ

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٩/١١١ عن الاحتجاج.
(٢) بحار الأنوار ٥١: ٤/١٥٤ عن كمال الدين.

جاء الطوفان فجرفهم أجمعين، فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان.

يكون عندئذ رجلان في الحقل فيُقبض أحدهما ويُترك الآخر، وتكون امرأتان تطحنان بالرّحىٰ فتُقبض إحداهما وتُترك الأخرىٰ.

فاسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون أي يوم يأتي ربّكم (أي المربّي والقائد) وتعلمون أنه لو عرف رب البيت أي ساعة من الليل يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته يُنقب، لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدّين ففي الساعة التي لا تتوقّعونها يأتي ابن الإنسان».

ثم يضرب السيد المسيح المثل لأصحابه حول غيبة الإمام المهدي التي ستطول ويُستبطأ فيها ظهوره فيقول: «فمن تراه الخادم الأمين العاقل الذي أقامه سيّده على أهل بيته ليعطيهم الطعام في وقته؟

طوبىٰ لذلك الخادم الذي إذا جاء سيده وجده منصرفاً إلىٰ عمله هذا! الحق أقول لكم: إنه يقيمه على جميع أمواله.

أما إذا قال الخادم الشرير هذا في قلبه: إن سيدي يبطىء، وأخذ يضرب أصحابه، ويأكل ويشرب مع السكّيرين[1]، فيأتي سيد ذلك الخادم في يوم لا يتوقعه، وساعة لا يعلمها، فيفصله، ويجزيه جزاء المنافقين، وهناك البكاء وصريف الأسنان».

إنه ظهور مفاجىء بعد غيبة طويلة، وهذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً فقد قال: «إن للقائم عليه السلام منّا غيبة يطول أمدها»[2].

وعنه أيضاً: «إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس، لا والله حتىٰ تميّزوا، لا والله حتىٰ تمحّصوا، لا والله حتىٰ يشقىٰ من يشقىٰ ويسعد من

---

(١) يستفاد من هذه العبارة ذم الخمر والنهي عنه.

(٢) بحار الأنوار ٥٢ : ٣/٩٠ عن كمال الدين.

يسعد»[1] .

وسيكون مصير المنحرفين كافرين ومنافقين القتل كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «فإذا خرج القائم لم يبقَ كافر ولا مشرك إلا كره خروجه، حتىٰ لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت الصخرة: يا مؤمن في بطني كافر أو مشرك فاقتله، قال: فينحّيه الله فيقتله»[2] .

ثم يستمر السيد المسيح عليه السلام في وصف الظهور المفاجىء للإمام المهدي عليه السلام بعد غيبة طويلة وفوز المؤمنين حينها وخسارة وهلاك الكافرين والمنحرفين. يقول السيد المسيح:

«عندئذ يكون مثل ملكوت السموات كمثل عشر عذارىٰ أخذن مصابيحهنّ وخرجن للقاء العريس، خمس منهنّ جاهلات وخمس عاقلات، فأخذت الجاهلات مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتاً وأما العاقلات فأخذن مع مصابيحهن زيتاً في آنية.

وأبطأ العريس، فنعسن جميعاً ونمن، وعند نصف الليل علا الصياح: هوذا العريس فاخرجن للقائه!

فقام أولئك العذارىٰ جميعاً وهيّأن مصابيحهنّ فقالت الجاهلات للعاقلات: أعطيننا من زيتكنّ فإن مصابيحنا تنطفىء.

فأجابت العاقلات: لعلّه غير كافٍ لنا ولَكُنّ، فالأولىٰ أن تذهبن إلىٰ الباعة وتشترين لكنّ.

وبينما هن ذاهبات ليشترين وصل العريس، فدخلت معه المستعدّات إلىٰ ردهة العُرس وأُغلق الباب.

وجاءت آخر الأمر سائر العذارىٰ فقلنَ: يا رب، يا ربّ، افتح لنا.

فأجاب: الحق أقول لكنّ: إني لا أعرفكنّ!

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠/١١١ عن كمال الدين.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٥٨/٦٠ عن كنز الفوائد.

فاسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون اليوم والساعة».

ثم يعرض السيد المسيح موضوع الفصل بين المؤمنين والمنحرفين والمجازاة لهم في تصوير رمزي فيقول:

«وإذا جاء ابن الإنسان في مجده تواكبه جميع الملائكة يجلس على عرش مجده (أي دولته) وتحشر لديه جميع الأمم، فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الخراف عن الجداء، فيُقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله، ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا من باركهم أبي (أي ربي) فرثوا الملكوت المعدّ لكم منذ إنشاء العالم لأني جعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني، وكنت غريباً فآويتموني، وعُرياناً فكسوتموني، ومريضاً فعدتموني، وسجيناً فجئتم إليّ.

فيجيبه الأبرار: يا رب متىٰ رأيناك جائعاً فأطعمناك؟ أو عطشان فسقيناك؟ ومتىٰ رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك؟ ومتىٰ رأيناك مريضاً أو سجيناً فجئنا إليك؟!

فيجيبهم الملك: الحق أقول لكم: كلما صنعتم شيئاً من ذلك لواحد من إخوتي هؤلاء الصغار فلي قد صنعتموه.

ثم يقول للذين عن الشمال: إليكم عنّي أيها الملاعين إلىٰ النار الأبديّة المعدّة لإبليس وملائكته (أي جنوده)، لأني جعتُ فما أطعمتموني، وعطشت فما سقيتموني، وكنت غريباً فما آويتموني، وعُرياناً فما كسوتموني، ومريضاً وسجيناً فما زرتموني!

فيجيبه هؤلاء أيضاً: يا رب (أي المربي) متىٰ رأيناك جائعاً أو عطشان، غريباً أو عرياناً، مريضاً أو سجيناً، وما أسعفناك؟!

فيجيبهم: الحق أقول لكم: أيّما مرّة لم تصنعوا ذلك لواحدٍ من هؤلاء الصغار فلي لم تصنعوه.

فيذهب هؤلاء إلىٰ العذاب الأبدي، والأبرار إلىٰ الحياة

الأبديّة»[1].

عملية تطهير للأرض من الأشرار والمنحرفين ليتسنىٰ للإمام المهدي قيادة العالم نحو الدين الإلهي، يقول الإمام الجواد عليه السلام: «القائم... يطهّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود»[2].

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال: «.. فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ويقيم حدود الله، ويحكم بحكم الله، يخرج وجبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يسرته»[3].

وعن الفصل بين أهل الحق وأهل الباطل في دولة الإمام المهدي عليه السلام يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا تذهب الدنيا حتىٰ ينادي منادٍ من السماء: يا أهل الحق اجتمعوا، فيصيرون في صعيدٍ واحد.

ثم ينادي مرّة أخرىٰ: يا أهل الباطل اجتمعوا، فيصيرون في صعيدٍ واحد».

فقال له الراوي: فيستطيع هؤلاء أن يدخلوا في هؤلاء؟

قال عليه السلام: «لا والله، وذلك قول الله عز وجل: **﴿وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتّىٰ يميز الخبيث من الطيّب﴾**[4].

ومما نقله القديس لوقا في انجيله في عدم معرفة وقتٍ لظهور دولة الحق قوله: وسأله الفريسيّون: متىٰ يأتي ملكوت الله؟

والفريسيّون ـ كما ذكرنا ـ هم رجال الدين اليهود الذين كانوا يمارسون الدجل في قيادة بني إسرائيل، وكان موضوع مجيء ملكوت الله

---

(١) متّىٰ: ٢٤/ ٤ ـ ٤٦/٢٥، وراجع مرقس: ١/١٣ ـ ٣٧.
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٣/ ١٠ عن كمال الدين.
(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٣١١/ ٤ عن عيون أخبار الرضا.
(٤) بحار الأنوار ٥٢: ٣٦٥/١٤٥ عن غيبة النعماني، والآية في سورة آل عمران: ١٧٩.

يحوز على اهتمامهم جداً.

تقول الرهبانية اليسوعية: إن «تاريخ مجيء ملكوت الله» هو المسألة الكبرىٰ في الدين اليهودي المعاصر (راجع دانيال ٩/ ٢) فالربانيّون وكتب الرؤىٰ يبحثون عن علامات تمكّن من تحديده[١].

فأجابهم: «لا يأتي ملكوت الله على وجه يُراقب»[٢].

وذكر القديس لوقا أيضاً حديث السيد المسيح عليه السلام مع تلاميذه عندما حدثهم بخراب الهيكل وسألوه عن علائم مجيء ملكوت الله، وكان مما رواه:

«وإذا سمعتم بالحروب والفتن فلا تفزعوا فإنه لا بدّ من حدوثها أولاً ولكن لا تكون النهاية عندئذ».

ثم قال لهم: «ستقوم أمّة على أمّة ومملكة على مملكة، وتحدث زلازل شديدة وأوبئة ومجاعات في أماكن كثيرة، وستحدث أيضاً مخاوف تأتي من السماء وعلامات عظيمة»[٣].

وروىٰ أيضاً حديث السيد المسيح عن علائم ظهور ملكوت الله فقال: «وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم».

وهي الكسوف والخسوف غير الطبيعيين في شهر رمضان الذي يسبق الظهور في شهر محرم، وكذلك ظهور النجم المذنّب في تلك السنة أو ما يقاربها.

«وعلى الأرض كرب أُمم بحيرة».

هذا وصف لما سيكون عليه حال شعوب العالم قرب يوم الظهور من

(١) الكتاب المقدس ـ ط الرهبانية اليسوعية ـ انجيل لوقا: ٢٥٢.
(٢) لوقا: ١٧/ ٢٠.
(٣) لوقا: ٢١/ ٩ ـ ١١.

الكرب والحيرة، وسبب ذلك:
«البحر والأمواج تضجّ».

من الواضح أنه لا يُراد بذلك تموّج مياه البحار نتيجة العواصف الطبيعيّة التي تحدث في كل سنة ضمن الظروف الطبيعية لها، فهذا لا يستحق الإشارة إليه من قبل آلاف السنين، والمراد حروب كبيرة ستكون في البحار سواء على سطحها أو في أعماقها.

«والناس يُغشىٰ عليهم من خوفٍ، وانتظار ما يأتي على المسكونة».

إنها أحداث مخيفة تهدد الكرة الأرضية جمعاء تصيب الناس بالذعر والحيرة والترقّب، ما من شيء يهدد المسكونة وأهلها إلا الأسلحة النوويّة الفتّاكة وأسلحة الدمار الشامل وخصوصاً الجوّية منها من صواريخ وطائرات، ولذا يعلّل السيد المسيح هذا الخوف العام للناس فيقول:
«لأن قوّات السماوات تتزعزع».

هذا هو سبب ذعر الناس وحيرتهم، إنها معارك تقع بين قوّات السماوات تستعمل فيها الصواريخ النوويّة والطائرات حاملة القنابل الذريّة، أما المدفع والدبابة والأسلحة الأخرىٰ فهي لا تدفع الناس إلىٰ هذه الدرجة من الرعب مما يحل بالمسكونة كلها!

فإذاً تلوح في عبارات السيد المسيح عليه السلام هذه معالم حرب عالمية مدمّرة، ولعلها هي الحرب العالمية الثالثة المتوقعة ـ كما ذكرنا ـ.

ثم يتحدث السيد المسيح عمّا يعقب هذه العلامات فيقول:
«وحينئذٍ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابةٍ بقوّةٍ ومجدٍ كثير».

ويعود إلىٰ علائم الظهور فيقول:
«ومتىٰ ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب»[1].

---

(١) لوقا: ٢١/٢٥ ـ ٢٨ (طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط).

عندما تبدأ هذه العلامات بالتحقق فليستبشر الناس ويرفعوا رؤوسهم متطلّعين إلىٰ يوم النجاة والخلاص الذي سيكون قريباً حينئذٍ.

ثم ضرب لهم مثلاً لهذه العلامات فقال: «انظروا إلىٰ التينة وسائر الأشجار، فما إن تخرج براعمها حتىٰ تعرفوا بأنفسكم من نظركم إليها أن الصيف قريب، وكذلك أنتم إذا رأيتم هذه الأمور تحدث فاعلموا أن ملكوت الله قريب»[١].

وقال لهم: «فاحذروا أن يثقل قلوبكم السكر والقصوف وهموم الحياة الدنيا فيباغتكم ذلك اليوم كأنه الفخ، لأنه يطبق على جميع من يسكنون وجه الأرض كلها. فاسهروا مواظبين على الصلاة لكي توجَدوا أهلاً للنجاة من جميع هذه الأمور التي ستحدث، وللثبات لدىٰ ابن الإنسان»[٢].

إنه حريص على نجاة المسيحيين وغيرهم عند ظهور الإمام المهدي وإقامته دولة الحق وحكم الله في الأرض، وقد أدخره الله لذلك اليوم كي يساعد الإمام عليه السلام في هداية هذا العدد الهائل من المسيحيين في آخر الزمان، وقد أوصاهم كثيراً بالاستعداد لذلك اليوم الذي سيأتيهم بغتة.

وورد عن الإمام المهدي عليه السلام قوله للشيخ المفيد في رسالة بعثها إليه قبل ألف عام تقريباً: «فليعمل كل امرىء منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة، حين لا ينفعه توبة، ولا يُنجيه من عقابنا ندم على حوبة»[٣].

ولا يستفاد من هذه الوصايا أن السيد المسيح يقرّ أجيالهم الحالية على البقاء على المسيحية بعد مجيء خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وإبطال كل الأديان التي سبقته، وإنما هو يوجه الحديث إلىٰ المؤمنين في

---

(١) لوقا: ٢١/ ٢٩ ـ ٣١.
(٢) لوقا: ٢١/ ٣٤ ـ ٣٦.
(٣) الاحتجاج ٢: ٣٢٤.

زمانه وبعد زمانه الذين يُفترض أن يتحولوا إلى الإسلام بعد ظهوره، وحينها تبقىٰ الوصايا موجهة إليهم أيضاً.

هذا بالإضافة إلىٰ علمه المأخوذ عن الله عز وجل في بقاء عدد كبير من أتباعه على ما هم عليه، وعدم اعتناقهم الإسلام، رغم أنه قد بشّر بمجيء النبي محمد صلى الله عليه وآله كما جاء في القرآن الكريم قوله: ﴿**ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾[1].

فوجّه حديثه إليهم كأمر واقع، ولعل بعضهم لا يعرف من الأمر شيئاً، وبقاؤه على المسيحيّة لأنه لا يعرف شيئاً عن غيرها.

---

(١) سورة الصف: ٦.

الخاتمة

إن من دواعي الأسىٰ أن يكون حال المؤمنين في العالم على ما هم عليه الآن، وكان ينبغي لعباد الله جميعاً أن يكونوا متحدين، وأن لا تفرّقهم الآراء والمذاهب، ولا يشتتهم أئمة الضلال فيكونوا أدياناً، أو مذاهب في الدين الواحد.

ونحن على أمل حلول المرحلة الأخيرة في التاريخ البشري بظهور الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ ونزول السيد المسيح ـ عليه السلام ـ ليقودا العالم موحّداً نحو الله عز وجل، ونحو دين إلهي واحد، رافعين كل الشوائب، ومبطلين كل البدع والانحرافات، ليعم الإخاء والمحبة والتعاضد بين أبناء البشر جميعاً، وتنتهي هذه الحروب، وينتهي الظلم بهلاك الظالمين.

ونحن ندرك أن أتباع السيد المسيح الحقيقيين لا يرضون باضطهاد الشعوب، ونهب ثرواتها، ومحاربة دينها وعقائدها، وإفساد شبابها، وما تقوم به الحكومات المسيحية اتجاه العالم الإسلامي لا يمثل الدين المسيحي الحق.

لذا نوجه دعوتنا الصادقة إلىٰ كافة المؤمنين الصادقين من المسيحيين ليمدّوا يد الإخاء لنا قبل أن يأتي ملكوت الله عز وجل الذي أصبح على

الأبواب، فإن ديننا ودينهم سيكون واحداً في دولة الله، ولا مانع أن يكون الدين الإسلامي إذا كان السيد المسيح بنفسه سيشارك في تشييد دولته العالمية بقيادة الإمام المهدي عليه السلام، وسيصلي صلاتنا خلف إمامنا المهدي، ويدعو الجميع إلىٰ الإسلام، قلنا لا مانع من ذلك لأن هدف المؤمنين هو رضا الله تعالىٰ دون أن يشترطوا عليه صيغة معينة للدين بل ما يبعثه هو إليهم، وقد قال تعالىٰ في قرآنه الكريم: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**.

ونوجّه نداءنا إلى الكنيسة، وإلى رجال الدين المسيحيين، والهيئات التبشيرية، أن يوجّهوا نشاطهم نحو محاربة الفساد والظلم في العالم بادئين من دولهم وشعوبهم، ويكفّوا عن محاربة الإسلام، والتصدي للمؤمنين، واستغلال فرص الضياع والحرمان والجهل في صفوف بعض المجتمعات الإسلامية لنشر المسيحية بينهم، فالإسلام والمسيحية على خط واحد، أما الاختلافات فسيُبت بها في دولة الله وبحضور السيد المسيح عليه السلام نفسه، فلا تضيعوا طاقاتكم في أمر لا طائل لكم فيه، ووجّهوا بنادقكم إلى عدوّنا المشترك: الكفر والفساد والظلم.

وإن أحببتم بحث الخلافات في ما بيننا وبينكم بصدق ومحبة فهناك الكتب التي تناولت ذلك، وهناك علماء لنا مستعدّون للحوار معكم من دون أي حقد أو عداء، بل نحن نؤمن وبيقين أننا وإياكم سنكون في طريق واحد، وسنصلي معاً في مسجد واحد في دولة الله المرتقبة، والموعد قريب إن شاء الله تعالىٰ.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

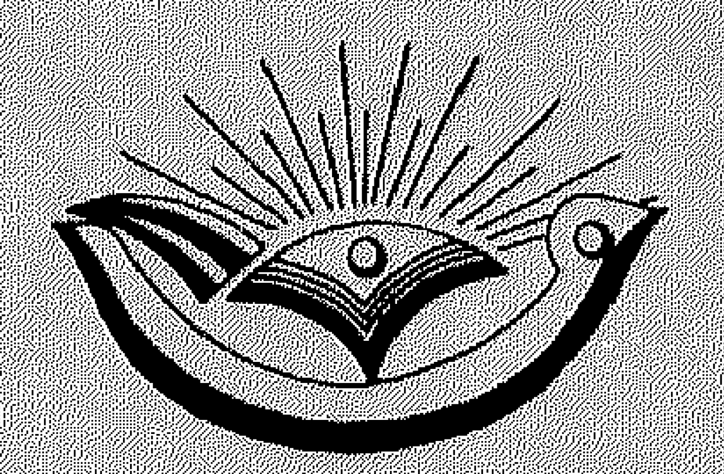
كتاب جديد يتناول ـ ولأول مرّة ـ العلاقة بين السيد المسيح والإمام المهدي من خلال الانجيل، فيكشف سرّاً أشار إليه السيد المسيح في مواعظه وكلماته كثيراً.

كتاب يتحدّث عن المرحلة القادمة والحاسمة من الحياة البشرية.

كتاب يدعو «المؤمنين» من المسيحيين والمسلمين للتقارب، والاستعداد لاستقبال مصيرهم المشترك عند ظهور الإمام المهدي ونزول السيد المسيح.

كتاب جدير بالمطالعة لكل من يهمّه أمر السيد المسيح والإمام المهدي ومستقبل الإنسانية.

الناشر



دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع = بيروت ـ لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩